جعفر الديري

السَّبْعَة

قصص قصيرة

السَّبْعَة

السَّبْعَة / قصص قصيرة

جعفر الديري/ كاتب من مملكة البحرين

الطبعة الأولى: نوفمبر **2024**

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

التنضيد والإخراج الفني وتصميم الغلاف: **جمال الخياط**

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة: **625**/ د.ع/ **2022**م

رقم الناشر الدولي: **978-99958-0-997-3**

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بتوزيع هذا الكتاب أو إعادة إصداره كاملاً أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق أستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال الورقية أو الالكترونية (بما في ذلك التصوير والاستنساخ الإلكتروني) إلا بالحصول على إذن كتابي مسبق من **المؤلف** ما عدا في حالة الاقتباسات الوجيزة بغرض المساهمات النقدية وبعض الاستخدامات غير التجارية والتي يسمح بها قانون حق المؤلف. لطلبات الحصول على الإذن الرجاء مخاطبة الناشر على العنوان المذكور أعلاه.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, scanning, or other electronic methods, without the prior written permission of the author, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law. For permission requests, write to the publisher at the address above.

جعفر الديري

السَّبْعَة

قصص قصيرة

2024

السَّبعَة

وقف الشُبَّان السَّبعَة، بعضَلاتهم المفتولة، عُراة إلاَّ من قطع قِماش تغطِّي أوسَاطهم. وجوهُهم مكفهرَّة، أيديهم تمسِك رمَاحا وسكاكين بدائية، وأعينهم ترقب الجمع الصاخب، وقد أحاط بهم، الرجال يضربون على الدفوف، النساء يزغردن وقد امتلأت أعينهن بالدمع، وعلى مقربة منهن، وقف شيوخ القبيلة السَّبعة، عابسي الوجوه، مُتهدِّلي اللُّحى، يمسكون بعِصيّ رُسِّمت عليها أشكال وحوش وكائنات خرافية.

بعيدا عنهم، مُختفيا خلف الشجرة الكبيرة، كان رجلٌ يُراقب الشبَّان بقلق بالغ، كان يتسَاءل:

- هل أدّيت واجِبي على أكمل وجه؟ هل أعددت الشبَّان جيدا لهذه اللحظة الفاصِلة؟

ثمَّ رفع رأسه للسّماء ، وقال مُبتهلا:

- اللهم اربط على قلوبِهم، وامنحهُم حياة أخرى ملؤها السّعادة والهناء.

ثمَّ اختفى بين الأشجَار دون أن يلحظ عيونا غضبى، تتابعه بمقت شديد .

مضى الشبُّان السَّبعة إلى الغابة، حيث أرسَلهم الشيوخ السَّبعة، لمصيرهم المحتوم. إنَّها عَادة دأبت عليها القبيلة، أن تضحّي في يوم معلوم من كل سبعة أعوام، بسبعة من خيرة شبّانِها، قربانا لحفظ السَّبعة أسياد القبيلة، الذين تحلُّ فيهم أرواح الأجداد، فتفيض منهم البركة على الناس والأحياء.

قال أشدُّ الشباب ثباتا، والمُعدُّ لقيادتهم:

- هل أنتم على العهد؟

أجابوا بصوت واحد:

- بلى.

- لقد بذل المعلّم غاية جهده لأجلنا، فلنثبت له أنّنا على قدر المسؤولية.

- سنثبت له ذلك.

- أحقًا وعيتم كل كلمة قالهَا؟

- بلى، لقد ذهبت دمَاء آبائنا هدرا، ولن نترك للسبعة فرصة أخرى للتضحية بالآخرين.

- علينا أن ننهيَ هذا الأمر، ولو تطلَّب ذلك موتنا جميعا.

- لن تجد بيننا مُتخَاذلا، فلنمت كي يحيا الآخرون من بعدنا.

- حسن، لا تفترقوا عن بعضكم مهما حدث.

كان زئيـر السـباع السـبعة مفزعـاً، غيـر أنَّ الأشـجار العَاليـة كانـت تمـلأ الغابـة. تفاءلـوا خيـرا. قـال قائِدهـم:

- فلنتعلَّق بأغصَان الأشجَار، كما أوصَانا المُعلَّم.

ارتقـوا الأشـجَار، وانتظـروا مجـيء السـباع، اقتـرب أحدهـا، صـوَّب قائدهـم رمحـه لـه، زأر زئيـرا رجّ الفضـاء ثـم سـقط ميتًـا. تبادلـوا النظـر بدهشَـة، تسـاءلوا:

- ما هذا؟! ليس الأمر صعْبا كما توهّمنا.

قال قائدهم:

- يبدو أنّ ما حكاه المعلّم كان صحيحا، كان الخوف ولا شيء غيره مصدر عجزنا.

جـاءت السـباع، واحـدا تلـو الآخـر، كأنّمـا تمشـي لقدرهـا، أردوهـا جميعـا بطعنـات الرمـاح. حـين تأكـدوا مـن مـوت السـباع السـبعة، نزلـوا مـن الأشـجار، مُنتشـين طربـا، غيـر مصدَّقـين أنّ الأمـر تمَّ بهـذه السـهولة.

قالوا:

- قضينا عليها جميعا، لم تبق سباع أخرى.

قال قائدهم:

- بل تبقَّى سبعة آخرون.

قالوا:

- فلنقضِ عليهم كما يريد المُعلّم.

سلخُوا جُلود السّباع وحملوها كدليل على انتصَارهم، وعادوا إلى حيث يجتمع الناس، لكنُّهم وما ان اقتربوا، حتَّى لمحوا معلَمهم مصلوبا وسط الدائرة نفسها التي كانوا فيها منذ ساعات.

هَاج الناس ومَاجوا، تسَاءلوا في عجب عظيم:

- كيف تمكُن السَّبعة من النجاة؟

ثم أحنوا ظهورهم للشبّان السبعة، أمَّا السبعة زعماء القبيلة، فبدوا حائرين مضطربين لأوّل مرة. لم يمهلهم الشبان لاتخاذ ايِّ موقف، سدَّدوا رماحهم وأردوهم قتلى، كما فعلوا بالسباع.

أنزلوا المُعلِّم من خشبته، قال وهو في الرَّمق الأخير:

- الآن تبدأون حياة جديدة يا أبنائي.

وأسلم الروح وسط بكاء السَّبعة.

أبُو الحِكَايات

تحتفظُ ذاكرتِي بصُورة البيت الكبير، بـ "حوشه" الواسع، غير المسقوف، يرفع عينيه للسَّماء فتبادله النظر دون حجاب، كذلك تبدو الغرف الأربع المتلاصقة، بأبوابها الخشبية ذات الألوان الزاهية، قريبة من العين كأنّما تشاهدها السَّاعة. إنَّ ثغاء المَاعز، ورفيف أجنحة الحَمام، مختلطة بكلام الناس، أصوات تصّنع في ذهني شكلا موازيا لحياتي اليوم.

كنت أقبل عصريَّة كلّ يوم، كما هو شأن عديد من الأطفال، لأستمع لأبي الحكايات. كان باب غرفته مفتوح على الدوام، وكان يجلس ببشته البنِّي، مسندا ظهره لمسند تراثي قديم. غرفته البسيطة بساطة صاحبها، كانت ذات شبَّاك خشبي، وسرير مصنوع من الحديد، مرتفع

جدا عن الأرض، ومروحة لا تكفّ عن ضجيجها، وثلاثٍ من الحصر الكبيرة تفترش أرض الغرفة.

ندخل الغرفة ذات الطلاء المُتهالك، فيستقبلنا بالترحاب، ويشير لنا بالجلوس، فنتحلّق حوله، ويبدأ حكاياته، فتسرح خواطرنا إلى حيث يشاء.

كان هذا الشيخ، معروف لأهل الحي، وكانت الأمّهات لا يجدن بأسا في إرسَال أبنائهن إليه، كانت حكاياته لا تنتهي، يزعم أنه عاشها كلُّها، لكنَّ الجيران يؤكدون أنُّه سمعها، وربما عاش بعضها إلاّ أنَّ مخيلته المدهشة كانت تفضي له بكثير من التفاصيل الرائعة.

هناك كان يجلس، مَادًّا رجلَيه أو مقرفصَاً أحيانا، سعيدا بمشاهدتنا نحن الأطفال، وقد انفتحت أعيننا إعجابا بما يقول، كان يحكي لنا عن شبابه وكيف قضاه في الأسفار، وعن أهوال البحر الذي عرفه منذ نعومة أظفاره، عن رجال أشدّاء التصق بهم فكان كأحد أبنائهم، وتعلّم منهم الكثير، عن الحاج عبد الله، الرجل الشهم وكيف أنقذه من الغرق. كان يفخر أمَامنا باتخاذه قرار تعلُّم القراءة والكتابة، رغم استهزاء أصدقائه به، وكيف أنُّهم ندموا أشد الندم بعد ذلك، غير أنّ ملامحه تتغيُّر، حين يواصل بألم:

- حزت فرصة ثمينة للعمل في شركة كبيرة يا أولادي بفضل إتقاني القراءة والكتابة، لكنَّ لئيما حاقدا علي، دسّ لي عند المسؤول الأجنبي، فطردني من العمل.

أسأله أنا الولد اللُّحوح:

- ماذا كانت تهمتك؟

يجيبني بغيظ:

- ادّعى أنني سرقتُ طابوقة.

نضج بالضحك، فيضحك لضحكنا ويقول...

- كان الطابوق وأدوات البناء مرتفعة الثمن وقتها يا أبنائي، واتهام مثل هذا يمكن أن يشوّه سمعة الإنسان، وقد حدث ذلك بالفعل، فلم أجد عملا بعدها.

ويسأله طفل آخر:

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

يجيب:

- سافرت، بحثت عن عمل في بلاد أخرى.

ويسرد لنا عن الصحراء مترامية الأطراف، وعن كثبان الرمل، والجِمال والنوق التي شاهدها تعبر الصحراء، عن لياليه الرائعة قرب الخيمة، وقد أشعل النار ليتدفّأ بها عن البرد الزمهرير، ونسأله ذاهلين عن أنفسنا وخيالاتنا تسافر بعيدا إلى هناك:

- لكنّ الشمس حارّة جدا في الصحراء، فكيف يكون الطقس باردا؟

وندهش حين يخبرنا أنَّ هناك مواسما تكون فيها الصحراء شديدة البرودة، كما كانت عندما التحق بالعمل.

كان من المقرَّر أن يسكن مع العمَّال، غير أنَّه عاش في كنف أسرة أجنبية صغيرة، ربُّها كان مسؤوله في العمل. كان قد اقترح عليه

أن يسكن معه ومع زوجه وابنته الوحيدة، وكان يعرف غايته من هذا العرض السخي، فهو يخاف من البدو، ووجود شابٍّ معه، سيشكّل مصدر اطمئنان كبير له ولأسرته، عدا عن قيامه هو وليس مسؤوله بتحمّل مشقّة الذَهاب للسوق، وهو طريق طويل، يستغرق عدة ساعات، ومحفوف بقطّاع الطرق، من هؤلاء الذين يرتكبون حماقة كبيرة فتتبرُّأ منهم قبائلهم، أو يعتدون بالقتل فتلاحقهم قبائل المغدور به، فلا يجدون وسيلة للعيش سوى سلب المسافرين والعابرين في الصحراء.

وقبِل عرضه، غير أنَّ المسؤول غدر به، وطرده بعد مدّة يسيرة، ليس لسبب سوى تعلّق ابنته به، ورغبتها في الزواج منه، عندها كشر الملعون عن أنيابه، وتقدم ببلاغ كاذب للشركة، فصل على إثرها. وعندما حكى الأمر لأحد رجال البادية، ممَّن توثَّقت علاقته به، عرض هذا عليه الزواج من ابنته، فقبل وعاش معهما حياة سعيدة، لولا أن ذئبا افترس عمَّه، بسبب عِناده الشديد، حين تراهن مع رجل آخر على النوم خارج الخيمة رغم سماعه عواء الذئاب. مات وماتت معه ابنته - زوجته، التي كانت حُبلى، وكانت شديدة التعلُّق بأبيها، فخسر عمّا طيب القلب وزوجة محبة صالحة، وطفلا كان يمكن أن يعينه على مشقّات الحياة.

ويبدو عليه الحزن، فنسكت بانتظار الجديد، لكنه يصمت فنمضي متأسفين لبيوتنا، ثم نعود إليه أيّامٍا أخرى، فلا يبخل عن حكاية ما يدهش عقولنا، حتّى جاء ذلك اليوم، الذي وجدنا فيه غرفته مغلقة فسألنا وبكينا حين علمنا أنه مات، مات بعد أن أودع حكاياته في ذاكرتنا.

العُقدةُ غرِيبَةُ الشَّكل

تأمَّل الفاتح العظيم في عقدة الحبل غريبة الشكل، ثمَّ أدار عينيه في سدنة المعبد، فوجدهم جميعا خاشعين، خافضين أعينهم للأرض.

كانت أجسامهم قويَّة، بفعل الأكل الطيب والشراب المنعش، بعكس أولائك الذين شاهدهم في الخارج، ضامري الوجوه، نحيلي الأجسام، بسبب الجوع والمرض، عاجزين عن الوقوف لإلقاء التحية عليه.

علت وجهه ابتسامة ساخرة، وقال لنفسه: هكذا!، بهذا الأسلوب اللئيم، خدعوا من سبقني، واضطرُّوهم للتراجع، ترى كم عدد الحمقى الذين وقعوا في شباكهم؟

ارتدَّ طرفه لبوَّابة المعبد، فوجدها ضخمة لا تشبه شيئا شاهده من قبل، ثمّة أعمدة تناطح السحاب، غرف وأبواب لا تحصى، وعند كل باب وزاوية، خادم بيده شمعة، يقف خافض الرأس، راهنا جسده وماله وعرضه للسدنة هؤلاء، أمَّا بقية الناس، فلا قيمة لحياةِ أيٍّ منهم، يعيشون في أكواخ عفنة كالقبور، يقضون حياتهم فيها حتى يواريهم التراب، فيما يعيش هؤلاء المترفون في معابد كالقصور، يأكلون ويشربون ويبدَّلون ثيابهم ناصعة البياض... وكبيرهم المبجَّل يشير للعقدة، قائلا في صوت مهيب:

- سيكون البلد لك، متى استطعت حَلّ العقدة.

هذا يعني أنَّه لن يملك البلد، إلا إذا حلَّت بركتهم عليه، حيلة دنيئة، ربَّما انطلت على من سبقه من المخرِّفين، لكن ليس عليه هو الذي أخذ العلم على يد أعظم فيلسوف على الإطلاق.

أخرج خنجره، وبسرعة خاطفة، هوى بقوّة على العقدة، فانقطعت، وتحرَّكت العرابة الرابضة في مكانها منذ أمد بعيد.

شقّ الفضاء صوت كبير السدنة، كأنَّما نزل الخنجر في قلبه، وتراجع للخلف، ويده على صدره، جحظت عيناه، وتحوَّل لون وجهه للبياض، ثمَّ خرَّ إلى الأرض وهو يخور كالثور. سارع السدنة لنجدته، لكنَّ الموت كان أسبق، لقد وعى عقله جيدا أنَّ قطع العقدة يعني انتهاء سلطانه على الناس، لذلك آثر الرحيل، على العيش تحت سلطان هذا الفاتح العظيم، أمَّا بقيَّة السدنة، فتهاووا سجدا على الأرض، وتبعهم خدّامهم وحملة الشموع.

الشِباك

لابدَّ أن رؤيته أصبَحت مزعِجة، شديدة الوطأة على النفس، وإلاَّ لما تحاشاه الناس، وتجنَّبوا لقاءه، لكنه ليس مستاءا كما يظن الحمقى .. أبدا .. لقد سعى لأن يضع بينه وبينهم حاجزا شديدة الصلابة، وقد نجح في مسعاه، فصار الجميع يخشون نظراته الحادَّة ولسانه السليط.

وإنَّها للذَّة عظيمة، يحرص على تذوُّقها كل يوم، حين يفتح شبَّاك نافذته، مراقبا الناس، ساخرا منهم، مطلقا تعليقات كالحمم، لا يسلم منها صغير أو كبير، رجلا أو امرأة، مندفعا في الهمز واللمز، مشيرا بيديه، محرَّك رأسه...

- أنظري لهذا الولد ألا يشبه الكرة؟!

وتضحك زوجه، ثمَّ تكشِّر، ناقمة أنها لم ترزق بالولد حتى الآن.

ويعود فينفث من سيجارته الرخيصة، ويزيد من حِدَّة تطلعه للناس، وتمرُّ فتاة جميلة تمسك بيد شقيقها الصغير...

- **اللعنة عليكِ وعلى أمك وأبيكِ.**

ويشاهد طفلا...

- **أليس بن فلان؟**

وتشاركه زوجه الضحك...

- **وأمُّه كالبطة أيضا يا زوجي العزيز.**

ثم يشاهد طَالبَين ينزلان من السيارة الفاخرة، حامِلَين كتبهما، فيشعر بأوردته تكاد تنفجر غلا وحسدا؛ هما دون غيرهما من الصِّبيان، يرفعان ضغطه، إنَّهما أشطر تلاميذ الحي، يرسلهما أبوهما لمدرس عربي، يقضيان معه ساعات فوق دراستهما النظامية، ينفق عليهما ما يغطي تكاليف أسرة كاملة، وغدا سيتخرَّجان من جامعة مرموقة، وينالان شهادة كبيرة تخوِّلهما منصب أبيهما بل أرفع من ذلك.

أبوهما مصري كبير، يتعمَّد ازدراءه كلَّما التقى به، راتبه أضعاف ما يناله بشقِّ النفس، يقيم في فيلته الفخمة، سعيدا بالمال والأولاد، بينما يعيش وزوجه في بيت ضيِّق، يكاد يخلو من الأثاث، تضطر زوجته للعمل على مكنة الخياطة، وفوق ذلك لا عقب لهما.

وتمرُّ من أمامه أشباح طفولته البائسة.. فشله في الدراسة، تعرُّفه على شلة السوء، إدمانه الخمر، ثمَّ السيجار، ثمَّ المخدرات، فقدانه

وظيفتـه، حكايـة زوجـه الأولـى التـي سـخرت منـه وهربـت مـع آخـر.

ويرمق السَّماء، ويصيح بصوت منكر...

- **لِمَاذا؟**

ويمتـلأ رأسـه دمـا، وتـدور بـه الدنيـا، ويوشـك أن يقـع، فيسـارع للجلوس، وفمـه لا يتوقـف عـن السـبِّ واللَّعـن وقـذف النـاس بأبشـع النعـوت.

أزرقٌ هائلٌ كالبحر

دقائق معدودة تفضّل بها رغم مشاغِله...

- ستجدها عنده إن شاء الله.

ذلك ما أكدَّه لي الحَاج صَالح الفرّاش...

- ومَاذا يطلبُ بالمقابل؟

ابتسم...

- لا شيء، إنَّه ليس بحاجة إليك ولا لغيرك، عليك فقط أن تلتزم بما أوصيتك به.

ساعتان من المشي السَّريع، في أزقّة موحشة وطرق غير معبّده، والطقس شديد الحرارة كثيف الرطوبة، ورغم ذلك كنت مستعدَّاً لأي شيء يطلبه.

شاهدت الرجل يتقدَّم نحوي، ربعة شديد السمرة، يمسك بيده سبحة، تتحرّك حبّاتها بتؤدة، بينما تنطق شفتاه بكلمات لا أكاد أسمعها...

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

- أخالك تبحث عن منزل الشيخ؟

- أجل.

- أجئت مغتسلا؟

- أجل.

- راجلاً؟

- أجل.

- كم قطعت من وقت؟

- أكثر من ساعتين.

- هل ردّدت ما علّمك الحَاج صَالح؟

- أجل.

- اتبعني بارك الله فيك.

صغيرة، بسيطة، بطلاء أبيض، ولا أحد بالقرب منها، توقّعت أن لا أجد موطأ قدم، لا أحد سوى رجال جالسين على العشب بين نخلتين، يلوحون من بعيد، تطلّعوا لبرهة ثمَّ عاودوا لأحاديثهم...

- من هنا بني؟

صحوت على صوت الرجل.

تقدّمت إلى الباب، كفّ خشنة على كتفي...

- تحلّى بالعزيمة، ستجد سلّما يفضي إليه.

فتحت الباب فسرى تيّار هوائي مفعم بشذى عجيب. وضعت قدمي على أولى درجات السلّم، وصلني صَوته: "سبّوح قدُّوس ربّ الملآئكة والروح، رحيم الدنيا ورحيمهما ورحماني".

كم استغرقت من وقت حتى عبرت درجات السلّم؟! صحوت على وجه أشبه بالمصباح نورا، وعلى عينين مهيبتين تطالعاني بمودّة، وعلى ذراعين قويّتين ترفعاني عن الأرض.

دخلت الغرفة، كانت صغيرة، في الجدار المقابل للباب، نافذة تنفتح على مشهد جميل، نخلات طوال ثلاث يتشابك سعفهن، خلفهُّن البحر أزرق هائل، أمَّا في الداخل فلا شيء سوى سجّادة للصلاة، والقرآن الكريم، وكتاب أوراد وأدعية...

- انَّها أقرب إليك ممّا تتصَّور.

- دلّني عليها أرجوك.

- لا بدَّ من المشقَّة في سبيل الحظوة بها.

- أنا صَادق في مسعَاي.

- قرأتُ لك المكتوب أمامي.

- أتخشى أن أكون كاذباً؟

- سبحانه وتعالى وحده العَالِم بما في الصُّدور.

- لكنك شفيت قلوباً كثيرة؟

- وحده عزَّ وجل من يشفي القلوب.

- أتيتك باحثا عن حلّ لمعضِلتي.

- وقد أعطيتك مفتاح الحَل.

- لِمَاذا لا تشفي غليلي وتمنحني إجابة واضِحة؟

- أنا لا أهب إجابات.

- امنحني ضوءًا أهتدي به.

- حتى يأذن مولاي.

نزلت من السلّم، كما دخلت؛ رأسي مثل مرجل يغلي، كان الرجل شديد السمرة، واقفا بانتظاري، أخذ بيدي، كأنني مريض ينتظر زوال أثر المخدّر...

- لم يقل شيئا...

- لست مخوّلا الحديث معك.

قطعت المسافة نفسها بخطوات ثقيلة، تكاد لا تقوى قدماي على حملي، لعنت نفسي والناس، وكل شيء قابلته؛ نازعتني نفسي إلى الكأس،

فشربت حتى الثمالة، ضحكت حتى امتلأت عينيّ دموعا، عاودتني نوبة السعال، قوية ألقتني إلى الأرض.

فتحت عيني، فوجدته واقفا بالقرب مني:

- لماذا تصرّ على تعذيب نفسك؟

- وما شأنك أنت؟

- ألست ابن عمك؟

- ابن عمِّي وليس ولي أمري.

- أنت مجنون.

- ماذا تقول؟

- لو كنت تبصِر، لأدركت أنك تحوَّلت لشيء هلامي، أنت عاجز عن تغيير ملابسك حتى.

واقع صعب، لكنه حقيقة لا أستطيع إنكارها. أنا نسر أعمى، مهيض الجناح. أيتها العزيمة، هبيني خيطا من ردائك، أنسج منه ثوبا يقيني التوهان، تتبدّى أمامي أشكال شتى، ملامح بعيدة بعد قلبي عن الراحة، لكنها تدفع بي لاقتحام باب لا رتاج له.

طرقاتٌ على الباب، أيقظتني، تجاهلتها، خمّنت أنه سعيد، عاد مجدَّدا، لكنها عادت يصحبها صوت خادمي أنس:

- المعذرة يا سيدي.. هناك من يلحّ في لقائك؟

- لا رغبة لي في لقاء أحد.

- آسف.. لكنه هنا خلف الباب.

انفرج الباب بقوة...

- حاولت أن أمنعه، لكنه...

- اذهب.

ذهب أنس، ووقف أمامي الحاج صَالح، كان لا يزال بلباس العمل، دعوته إلى الجلوس، فجلس فوق الرخام...

- اسمَع... لقد استْدعَانِيَ الشيخ.

تنبَّهتْ حواسي بشكل أشعرني بالألم...

- وماذا يريد؟

- حمّلني رسَالة عاجله إليك.

- ما هي؟

- يقول إن فرصتك الأخيرة ستأتيك بعد يومين.

- فرصَتي الأخيرة؟

- أجل.. ويحذرُّك ضياعها.

- وماذا يعني؟

- لا علم لي.. إنه يوصِيك بانتهازها، والسَّير حتى نهاية الطريق.

- كنت بحضرته أمس ولَم...

- أنت لا تعرف الشيخ، إنه لا يتحدث من تلقاء نفسه.

أمضَيت اليومين التاليين أفكّر في رسالة الشيخ، كانت أفكاري أشبه بالسير وسط الضباب، كثيفة موغلة في القدم، مليئة بالأعشاب الضارّة، والروائح النتنة.

بكيت؛ عزّت علي نفسي، واقتفائها شيئا لا أثر له، لماذا أنا بالذات؟ قرّ عزمي على خوض التجربة كأمل أخير، لن أتوانى عن فعل أي شيء، لكن إن فشلت هذه المرَّة أيضا، فليذهب كل شيء إلى الجحيم، علي بعدها أن أقتطع من جسمي ليأكل كلبي.

انفتح الباب في الصباح الباكر، كان الحاج صالح يقف عنده مرتديا ثوبا ناصع البياض، بيده سبحة، سأحظى برؤية الشيخ مجددا، فأيّ قدر بانتظاري؟ لقد ألقيت بدلوي في البئر في المرات السابقة، ولم يعد لديّ ما ألقيه، اللهم إلا نفسي...

- اذهب بني.

- ألن تسير معي؟

- لن تقابل الشيخ هذا اليوم.

- ماذا؟

- لا تخشى شيئا، أستودعك الله.

مضيت إلى سبيلي.

بداية الطريق أم نهايته؟ غير أن ما يسلّيني أنني لم أخلد للأرض، بحثت طوال سنوات عن معنى لم يزل يموج في قلبي، والسَّحابة إمّا أن تهطل هذه المرَّة فأرتاح، أو تمتنع، وعندها سأركن إلى الظل.

كان الرّجل شديد السمرة نفسه، واقفا في ظلّ النخلة، يحمل طفلا رضيعا، يرفعه حينا، وحينا يداعب وجهه، ويشمّه، وما أن كنت إلى جانبه، حتى ناولني الرضيع، أمسكت به، ابتسمت له فابتسم لي، أحسَست وكأنني فتحت جرحا غائرا في قلبي؛ هاتان عينان تشبهان لؤلؤتين مخبّأتين في الجانب الأيسر من الصدر، تطرفان فأشعر وكأنّي في بحر لجّي، يلوح لي شطّ على البعد، لكن ذراعيّ لا تسعفاني.

عاد وتسلَّم مني الطفل الرضيع، ثمَّ أخرج من جيبه مفتاحا ناولني إياه، وأشار إلى غرفة صغيرة...

- **ستقيم هناك.**

ابن الجاه والعز، يرفل في ثيابه الجديدة، يغيّر سيّارته كل شهر، لم يشاهد سوى القصُور والفلل الفخمة، والنساء المتبرّجات، قدّر له الدخول في تجربة جديدة وعالم مختلف، فيه بيوت من طين، ورجال يخرجون من البحر بأيديهم الأسماك، ونساء لا يبدو منهنّ سوى أعينهن، وأطفال حفاة يتسلّقون النخل، يتطلعون إليه بفضُول.

قَلبٌ شَقِي

رغم شخصِيَّتِه القويَّة وذكائه الحَاد، كان نبيل من أبغض خلق اللّه للناس؛ كان رجلا لا يألف ولا يُؤلف، ذو وجه منفر، وقلب أسود، وطباع سيِّئة للغاية.

كان قد امتهن الصيد منذ نعومة أظفارِه، واكتسب معرفة لا تجارى بمصائد الأسماك، أهلَّته لأن يصبح نوخذة وهو بعد في سنِّ الشباب، ما عزَّز لديه الإحساس بتفوُّقه، وحيث أنَّه نشأ يتيما، شقَّ طريق الحياة بصعوبة بالغة، صَار الناس جميعُهم أعداءه، تحرُّكهم مصالحهم ولا شيء آخر.

أمّا عُمَّاله الآسيويين، فلا يعدون في نظره وسيلةً لكسب مزيد من المال، فهو يترصُّد حركاتهم، ويمتهن كرامتهم بلسانه البذيء، وكلماتِه الجارحة كالسياط، دائم الترهيب لهم بقطع أرزاقهم، وترحيل من يشاء

منهم، بل كان يفاخر زملاءَه، بمقدرته على فعل ما يشاء بهم، دون أن يقوى أحد على ردعه.

وها هو اليوم وقد خرج في رحلة صيد جديدة، وبلغ المكان المقصود، أرسل نظرة خبير من عينيه، كأنَّما تخترق الحجب، فما رفع الآسيويون "قرقورا"، إلاَّ ووجدوه ممتلأً بالأسماك عن آخره، وبدلا من شكر الله تعالى، والثناء على عملهم، انهال عليهم ضربا وصفعا ولطما وهو يضحك مسرورا بصيده، مَزهوًّا بنفسه.

حتَّى إذا أنهَوا العمل، وتوجَّهوا لطريق العودة، جلس، ثمَّ أخرج علبة سجائِره، وبدأ التدخين، مُصفِّرا بلحن يُحبُّه، مُستمرًّا في إطلاقِ التعليقات الكريهِة، والنعوتِ المُستفزَّة، غير أنَّه وما ان اقترب الطرَّاد من المَرسى، ولمح رجلا بعينه، حتَى لاذ بالصمت، وتغيَّرت ملامح وجهه، وكساه وجوم ثقيل، وبدى السخط والضيق واضحين في عينيه، وعندما توقَّف الطَّرَّاد، تشاغل بمراقبة العُمال، وهم ينقلون ما غنمه من صيد وفير، ثمَّ حاول الفرار، لو لا أن سمع صوته يقول باستياء:

- ألا ترحِّب بأبيك؟

التفت ليجده يقترب منه.

رفع رأسه وهو يكتم انفعالا شديداً، وقال:

- أهلا أبي.

- مضى وقت طويل منذ شاهدتك آخر مرَّة.

قال هازًّا رأسه:

- أجل، مضى وقت طويل.

ولزم الصَّمت.

- لقد ذهبت إلى بيتك، فقيل لي إنَّك في البحر، فانتظرتك رغبة في رؤيتك.

ولم يجب بكلمة واحدة، فتابع الأب بنفاذ صبر:

- يبدو أنَّني أخطأت بالمجيء إليك.

قال بتأثُّر:

- أحقّا اشتقت لرؤيتي يا أبي؟

- أجل، ألست ولدي؟

قال وهو يهزُّ رأسَه:

- لم أكن يوما شيئا مُهمًّا بالنسبة لك.

قال الأب وهو يداري نظراته:

- لماذا تقول ذلك؟

ردَّ بحزن:

- أليست هذه هي الحقيقة؟

ولمَّا لم يجب أبوه، أردف:

- لقد جئت تأخذ بعض المَال، وتنقلب لزوجك.

قال أبوه وهو يهزُّ كفَّيه استياءًا:

- أحرام علي أن اتسَّلم بعض المَال من ولدي؟!

ردَّ بانفعال:

- ولدك؟! اليتيم الذي تركته مع شقيقك يعذبه، وهربت مع زوجك الآسيوية.

صاح أبوه غضبا:

- هل ستسمعني هذا الكلام في كُل مرَّة ألتقيك فيها؟

سارع فأخرج محفظته ومدَّ يده بمبلغ كبير، وقال:

- خذ، لكن أرجوك لا تأتي مرة أخرى، سأرسل إليك المال مع أحد عمّالي، آخر كلِّ شهر.

تردَّد أبوه للحظات ثم مدّ يده وفرَّ من المكان بسرعة.

راقبه حتَّى اختفى. جلس على أقرب حجر إليه، وأخرج علبة سجائرة مرَّة أخرى، وراح يدخِّن، مُجترًّا ذكرياته الحزينة، أمُّة مسجَّاة في فراشها، أبوه يسلِّمه لعمِّه عازما على الزواج من امرأة أخرى، وحيد منبوذ من أولاد عمه، الضحكات الشامتة تطاردُه يوم رسوبه، هربه في ليلة شاتية، قضاءَه لياليه في كوخ حقير عند شاطيء البحر، دون أن يطرق بابه أو يسأل عنه إنسان.

أدار رأسه فوجد عُمّاله يطالعونه بدهشة، فصاح فيهم، وهو يُرميهم بالحصَى:

- اذهبوا .. عليكم اللعنة، اذهبوا.

ثمَّ صعد إلى الطرَّاد، وحرَّك المكنة ومضى لا يلوي على شيء.

المَوجَةُ الغَادِرَة

طـرقَ البـاب بهـدوء يناسـب بيـت أرملـة مسـنَّة، ولـم ينتظـر طويـلا حـين أطلّـت امـرأة، سـارعت إلـى إخفـاء وجههـا بطـرف ثوبهـا. ابتسـم، وقـد تخايلـت لعينيـه تلـك الأيّـام البهيجـة مـن طفولتـه:

- **السلام عليكم.**

ردّت المرأة، متطلّعة إليه بعينين كليلتين:

- **وعليكم السلام.**

- ألست الحاجة أم علي؟

- أجل .. ومن تكون؟

- أنا عيسى بن الحاجة خديجة، كنا نسكن قريبا من هنا، ألا تتذكرين أمّي أم أحمد؟

وكأنّما استيقظ زمان عزيز على نفس المرأة، دفع شفتيها إلى الإنفراج بابتسامة طيبة...

- أهلا بك يا ولدي.. كيف حال أمّك؟

- بخير ولله الحمد.. كانت تتمنّى زيارتكم لولا الروماتيزم اللعين.

- ساعدها الله.. وأيّ منا لم يصبه الضعف والوهن.

- حفظكن الله.. هل الحاجة أمّ محمود بالداخل؟

- نعم، إنّها على فراشها.

- أرجو أن تستئذني لي بعيادتها.

- انتظر ريثما أخبرها.

وغابت في الداخل لدقائق، كانت كافية ليجول بعينيه في المكان الذي لم يتغيّر فيه شيء، حتّى البيوت، احتفظت بطابعها القديم، بيت سيد محمد، حيث التراب يشغل نصف مساحة البيت، لقد كان ملتقى الأطفال، وبيت الحاج جواد، حيث يجتمع أبوه ككُلّ رجال الحَيّ في المجلس العامر، وحيث "بياعة" الحاجة زهرة، المليئة بأكياس المينو وآيسكريم الحليب المصبوب في كؤوس من النحاس، والبالونات مختلفات الأشكال

والألوان، ومجلس النسوة في بيت الحاج إبراهيم، ترتفع فيه عقائرهن عصرا بالبكاء والنحيب، والمسجد الكبير، حين يؤذن المؤذن فلا يتخلّف أحد عن الصلاة فيه. ذكريات أشعرته بالأسف لفراق الحَيّ العتيق، والانتقال إلى آخر لا حياة فيه، يغلق الناس فيه أبوابهم، ويتجنّبون بعضهم.

وعادت المرأة، داعية إيّاه للدخول، وما ان وطئت قدماه أرض البيت، حتّى غمره شعور بأنّه ذلك الطفل ذو السبعة أعوام، من كان يقضّي جزءا من يومه مع عادل بن صاحب هذا البيت، من اختطفه البحر على حين غرَّة منه ومن زملائه. وعجب لتصاريف الأيام، فإنّ الصورة التي حفظتها ذاكرته للبيت، ظلّت كما هي، فهو دون سقف، معرّض للمطر والغبار والرياح، في صدره، غرفة مفتوحة الباب، على يمينها المطبخ، وقام حمّام على يمين الداخل، يقابله درج يفضي إلى السطح.

اقترب من باب الغرفة، فطالعه وجه امرأة جالسة على سريرها، ميّزها على رغم الظلام. توجّه إليها وطبع قبلة على رأسها الأشيب..

- **اجلس هنا.. أودّ أن أراك عن قرب.**

جلس على الكرسي، فيما توجّهت الحاجة أم علي إلى المطبخ.

- **فيك الخير أنّك تذكّرتني يا ولدي.**

- **أنا لم أنسكم لحظة يا خالة.**

- **أنت أفضل من ذلك الولد العاق.**

كانت تعني ولدها محمود، من آثر أن يضاعف حزنها، حين اختار أن يبتعد عنها وعن شقيقاته، وأن ينتقل للعيش في بلد بعيد، مع زوجة

تختلف اختلافا كليّا عنها وعن بناتها، على رغم جرحها الذي لم يندمل بموت عادل، كان يكبره بخمسة أعوام، والحق أنّه لم يتفاجأ حين علم أنّه استقرّ بعيدا عن أمّه؛ لقد كان شديد الطموح.

وأضافت في صوت غلبه التأثر:

- **تصوّر.. مضى عام كامل منذ شاهدته آخر مرّة.**

وشعر بحزن صادق يغزو قلبه، وحمد الله تعالى أنّه بارّ بوالديه، ولو كان محمود شخصا آخر، لقال إنها تبالغ بشأنه، لكنّه كان يعرفه جيدا، ويدرك مقدار أنانيته وغروره..

- **إنّه يكتفي بالتحدّث إلي هاتفيا، وكلّما أبديت له اشتياقي، وعدني ثم لم يف بوعده.**

- **لعّله مشغول بالفعل.**

- **إنّه لم يحضر جنازة أبيه حتّى.**

وأضافت بصوت ضعيف:

- **لو كان عادل حيا يرزق لهوّن علي كل شيء.**

وآمن في دخيلة نفسه بكل كلمة نطقتها المسكينة، لو كان عادل حيا يرزق لرعاها وقام بحقّها على أكمل وجه.

قال محاولا أن يزيل شيئا من تعاستها:

- **لقد أنجبت ولدي البكر وأسميته عادل.**

فاضت عينيها دمعا، رغم نيَّته التسرية عنها:

- فارعه إذا يا بني، ولا تتركه يغيب عن ناظريك.

وعلى رغمه غلبه الحزن، كان عادل إلفه الذي يلازمه، كان معه لآخر لحظات حياته، عادل الطفل الضحوك، كان يمرح معه ومع لداته سعيدا في البحر، حين أقبلت موجة غادرة، أخذته بعيدا، ظلوا ينادون عليه، لكنهم كانوا أطفالا لا حول لهم ولا قوّة.

جاءت أمّ علي بالفاكهة، فشكر لها أنّها أنقذته من هذا الموقف، تناول منها قطعة من تفاحة، راح يمضغها فيما عيناه لا تغادران الأرملة المريضة، وكان يتمنّى الجلوس لوقت أطول، لولا أن لحظ تعبها، وحاجتها للنوم، فاستأذن، واعدا بزيارة أخرى، غير أنه وما ان اقترب من باب الخروج، حتّى شعر بعينين تلاحظانه، التفت للخلف بسرعة، فوجد عادل يبتسم له، كان عادل بالفعل، بثوبه الأبيض، وابتسامته الرائعة، بادله الابتسام، ثمَّ توارى، وأدرك أنّ عادل لم يكن ليفوّت فرصة إلقاء التحيّة على صديق الطفولة.

في صَخبِ المقْهَى

قبل شهر واحد من الآن، لم يكن أحد سواء من الغرباء أو الأقرباء، يصدّق أنّه جاوز الأربعين من عمره، أمّا اليوم، فكلّ من يعوده في بيته، أو يلتقيه في أيّ مكان آخر، يحدّثه بهدوء ولين، يناسبان رجلاً هرم في ظرف ثلاثين يوماً، بفعل المرض اللعين.

حتىّ العمّال في السوبرماركت القريبة من بيته، تغيّرت نظراتهم، فكشفت عن معادنهم "الأصيلة"، فلم يعودوا يُهرعون لتلبية ما يطلب، ولا يبتسمون تزلّفا إليه، لقد انتهت تلك السطوة، وحلّ محلّها وجوم وشرود يليقان برجل يتوقّع الموت في أيّة لحظة.

على أنّ المرض لم يكن علّته الوحيدة، على رغم الدواء الذي يتجّرعه، فيحسّه سمّا يمزّق أحشاءه! فإنّ مأساته القديمة تجدّدت فصُولها قتامة، حتّى غشيته كآبة لم يفلح أيّ من أصدقائه المقربين في إزالتها، عذاب مازال يصنعه أبناء أربعة، أكبرهم أشدّهم سوءاً، ذوي عقول صغيرة وأجسام ضخمة كالثيران.

بالأمس فقط، تعمّد الجار "العزيز"، أن يلهب وجدانه، بريشة الفنان المبدع، القادر على تحريك الرسوم، فكأنّها تحدث أمامه، لقد سمع ضحكات ولده البكر تجلجل في المقهى الصاخب، ويده تلعب بالورق بمهارة، بينما فمه لا يكف عن شرب الشيشة...

- ومتى كان ذلك؟!

ويجيبه الجار وهو يعلم أنّه سؤال العارف المكابر، يجيبه وكلّه أمل أنّ تكون ضربة قاضية...

- في اليوم نفسه الذي علمنا فيه، أنّك سقطت ضحية للدّاء العضال.

الخبيث يعلم جيداً، أنّ هذا المرض لا شيء أمام ما يعتمل في صدره من قرف ومرارة من ذريّته التعيسة، ولا يشكّ لحظة في أنّه كان يراقب صعوده في سلّم الغنى، خطوة خطوة، حسوداً، حقوداً، مترصّداً الفرص للنيل منه، وها هي تأتيه وتأتي غيره من الأعداء على طبق من ذهب، فأيّ معنى للحياة بعد اليوم؟!

لاحت منه التفاتة للمجلّة على يمينه، فأمسك بها، وراح يتصفّحها دون اهتمام، حتى وقعت عيناه على صورة شاب وسيم، تشعّ عيناه ثقة

وسعادة، وراح يقرأ قصة الشّاب الناجح في عالم المال رغم صغر سنه، حين سمع طرقاً خفيفاً على الباب.

دخل عبدالمجيد، فأشار إليه بالجلوس، دون أن ينطق بحرف واحد، لقد فضّل الصمت، لعظم ما يعتمل في نفسه من أسى، فهو أكثر مالاً وولداً من زوج أخته، ومع ذلك، لو جمع كلّ أبنائه في كفّة، وعبدالمجيد في كفّة، لرجحت كفّة عبدالمجيد، وكم تمنّى صادقاً لو انه من صلبه، لهدأت نفسه، ولم يشغلها التفكير في أمر زوجته وبناته.

قال في صوت واهن:

- لقد تحدّثت مع والديك بشأن المصنع، وإني لشديد الثقة في أنك ستعيده سيرته الأولى، وانّك ستوفّي أقساطه في وقت قريب.

وقبل أن يترك لابن أخته الفرصة للكلام، أضاف، وهو يمسح دمعة في مقلته:

- لا تخش شيئاً من جانب أبناء خالك، فلو علمت أنّ واحداً منهم له شيء من رجولتك، لما بعتك المصنع، يكفيهم محلات الملابس وما تدرّ من دخل محترم.

ثمّ أشار إليه متلطّفا، فأطفا هذا النور، وأغلق الباب وراءه، وتركه جاهداً في أن يحظى بساعة من نوم، دون أن تطرقه الأحلام المزعجة.

قَاطِعٌ كالسِّيف

عَدا أيَّامٍ معدودة يعتمر فيها ويزور المدينة المنورة؛ أمضى حياته كالقارب المربوط للمرساة، كادِحا وعاملا، في سبيل تأمين لقمة العيش لأبنائه، رغم ذلك ورغم مرور إسبوعين كاملين على دخوله المستشفى، لم يُطلَّ عليه أحد من أبنائه، أو حتَّى يسأل عنه، اللهم إلاَّ عِبر اتصال سريع، أو رسالة واتسَاب مُملَّة.

وهذان الشَّابان، تلتقي عيناه بعينيهما، فيشاهد الشفقة والرحمة، كلَّما اختلس نظرة لأبيهما، زميله في الغرفة، يكاد زوَّاره لا ينقطعون عنه صباحا ومساء.

دخلت ممرَّضة، ابتسمت له، وأعطته حبَّة الدواءَ، فتناولها بمرَارة مُضاعفة...

- **متى يمكنني العودة إلى البيت يا ابنتي؟**

ردَّت وهي تناوله الكوب:

- **حتّى يأذن الطبيب.**

قال بانزعاج:

- **لكّنني مللت يا ابنتي.. مللت.**

هزّت يدها في تسليم:

- **ما باليد حيلة يا أبي.**

وخرجت، فعاد واستلقى على سريره، ووضع ذراعه على وجهه، مُخفيا عينيه، مستنجدا بالنوم، محاولا الهرب تحت وطأة إحسَاسه بظلم أقرب الناس إليه، حين وصل سمعَه صوت مُحبَّب إليه، جعله يلتفت بلهفة، ليفاجأ برؤية ولديه وبناته الثلاث.

قال وقد ردَّت إليه روحُه:

- **أخيراً تلطَّفتم بزيارتي.**

ابتسم أكبرُهم وقال:

- **مشاغِلُنا كثيرة ونلتمسُ العذر منك.**

أحَاطوا به في مشهد أعاد إليه الثقة بنفسه والرغبة في الحياة، حين دخلت الممرِّضة مرَّة أخرى، أمسكت براحة يده، وراحت تبحث عن

مكان في ظهر كفِّه الذي تحوَّل لجلد قنفذ لكثرة ما غُرز فيه من إبر، وغرزت الإبرة، فتأوَّه، وتلفَّت فزعا، وأدار عينيه في المكان، وسأل بصوت مرتعش:

- **أين هم؟**

ردَّت المُمرِضَة:

- **مَن هم؟**

- **أبنائي.. أين ذهبوا؟ كانوا هنا منذ لحظات.**

بان عليها الارتباك، فابتسمت مشجّعة، ومضت، فأحسَّ بكآبة لا تطاق، وسارع فتلحَّف بفِراشه، وأدار ظهره للشَّابين، خجلا من حزنه ودموعه.

في حَصَانة سيِّدي

ألقتْ بي سيّدتي بعنف داخل الفرن القديم، عديم الصلاحيّة، لم تشأ أن تطرحني خارج البيت، نظرا لخشيتها غضب زوجها. سيّدتي في العشرين من عمرها، رشيقة طويلة، تضجّ سحرا وأنوثة، لكنها ضعيفة الشخصيّة، هشّة يتحطّم قلبها لأتفه الأسباب، بخلاف زوجها الذي يشبه البرميل قوة ومتانة، وقدرة على التماسك في أصعب الظروف.

منعتني كميات الدّهن المطبوعة على الزجاج السميك، من مشاهدة سيدتي، وإن لم تستطع منعي من الاستماع إليها، لقد استمرت زهاء الساعتين، تعمل في تنظيف الشقّة، وهي تردّد أنها ستقنع زوجها بحرقي، وذر رمادي في الهواء، لأنتهي تماما، لتعيش مرتاحة البال من وجهي الغليظ البائس.

كانت واهمة، فأنا مع سيدي منذ الصغر، أي قبل أن يقترن بها، ويقيني ثابت بأنّه لن يتخلّ عني بأيّ حال من الأحوال، لم يخالجني الشكّ أبدا في ذلك، حتى عندما سمعت صوت المفتاح يفتح القفل، والكلمات اللّطاف تغازل بها سيدتي، سيدي، إذ سرعان ما سمعته ينفجر فيها:

- لا أعلم ماذا يضيرك من بقائه بيننا، لماذا ترغبين دائما في افتعال المشاكل بشأنه؟ أخبرتك انه رفيقي منذ صغري، ولا أملك أن أتخلّى عنه، ومع ذلك تجهدين في تعذيبي، اتركيه لِشأنه أرجوكي.

ووجدته يقبل مسرعا نحوي، ويخرجني من الفرن بودّ وتكريم، ويجلسني بهدوء في الزاوية قرب الباب. عندها انفجرت سيّدتي في البكاء، وراحت تكيل لي الشتائم، كشأنها في كلّ مرة، متهمة إياي بإحراجها أمام الناس خصوصا شقيقاتها وجاراتها، ثمّ ختمت بكلمتها المعتادة، إما هي وإما أنا، ثمّ غادرت الشقّة.

استغرقت في الضحك من مكاني، إذ لم أعد أذكر عدد المرّات التي تركت فيها سيدتي الشقّة، ولا عدد المرّات التي استفرغ فيها سيّدي حقدها، فأعادها لأحضانه زوجة لا تطلب شيئا في الدنيا سوى رضاه، بكلمات لطاف تغسل في لحظة ما علق في قلبها من حزن وألم. وهذه المرّة أيضا، لم يذهب سيدي خلفها، جلس يشاهد التلفاز مطمئنا في صدر الصَّالة، وهو يعبث بجهاز الآيفون، حين جاءت، وألقت بنفسها عليه، وانهمرت دموعا انهارا، معتذرة منه، مقسمة أنها لن تترك البيت بعد اليوم، وما كادت الساعة تقارب الخامسة عصرا، موعد النزهة اليومية،

حتى كانت في كامل أناقتها، تستعدّ للخروج معه، ضاحكة مستبشرة، لا تسعها الدنيا هناء وسعادة.

أنا لا يحقّ لي أن أشكو من شيء وكّلّ هذا الحب يحوطني به سيّدي، لكنّ الشعور بالضجر لم يفارقني لحظة واحدة، وأخشى أنني لن أسيطر على نفسي مستقبلا، ولا شكّ أنّ منظري بائس، مثير للشفقة وللتقزز أيضا، وإلاّ لما كرهتني سيّدتي إلى هذا الحد، مسمّر عند الباب ليل نهار، عدا ساعة النزهة التي يمنّ بها علي سيدي، فيما الآخرون يسرحون ويمرحون.

في أحيان كثيرة، أتمنّى لو تنفّذ سيّدتي تهديدها، في الواقع أنا احتقر جبنها، ماذا سيحدث لو أحرقتني وذرّتني في الهواء؟ هل سيطلقها زوجها مثلا؟ ليكن، إنها حسناء، ومؤكد أنّها ستجد العشرات ممن يرغبون في الاقتران بها، لكنّه ضعف النساء فيما يبدو، فسيدي ليس وسيما ولا غنيا، بل هو جاف غليظ متكبّر ومتعجرف، معجب بقوّة ساعده، وضخامة بنيانه، ولا أزال أذكر ذلك اليوم الذي تشاجر فيه مع أحدهم، كان ذلك أثناء النزهة اليومية، كان هناك شاب وسيم جدا، اقترب من سيدتي وألقى عليها السلام، سعيدا بلقائها، وهي التي كانت زميلته في الجامعة، ويبدو أن سيدي اشتعلت فيه نار الغيرة، ليس على زوجه، بل غيرة الرجل المفتقد للوسامة، أمام شاب آيه في الجمال والرشاقة، فلم يعدو أن افتعل مشكلة معه، اندفع فيها إليه، فتركه على الأرض غير قادر على حمل نفسه.

لم تكن تلك الحادثة الوحيدة، بل تعدّدت مشكلاته مع الناس حتى كرهوه وتجنبوه نظرا لسوء أخلاقه، وحسدا منهم أيضا لاقترانه بجوهرة رائعة تقيم معه في منزل واحد.

والحقَّ أنني لا أعرف شيئا عن طبيعة النساء، وأقف عاجزا عن فهم سيّدتي، فهي كلّما شاهدت سيدي وهو ينهال بالضرب على أحدهم، كلّما قفزت عينيها للأمام، وفتحت فاها، وارتعش جسدها إعجابا بزوجها.

أمر عجيب لا أجد له تفسيرا، سوى أنّها ضعيفه أمامه، لا تستطيع تنفيذ أمر دون مشورته، وهذا يعني أنّ تهديداتها فقاعة صابون، وأنّني سأظل، ممزّقا بين حقد أسود يطلّ من عين سيدتي، وبين يد غليظة تمسك بخناقي، وتمنّ علي بحياة مملّة رتيبة.

ثَورةُ "القُطرُس"

رائِعةٌ، تلتفُّ حولها أزهارٌ مختلفة الأشكال والألوان، زادتها أشعّة الشَّمس بهاءًا، في طقس خريفيٍّ بديع. هكذا بدت الشَّجرة الوحيدة في حديقة البيت، غير أن السيِّدة الجَالسة بالقرب من النافذة، المُطلَّة على الحديقة، كانت مشغولة البال عن كلِّ هذا الجمَال.

كانت ترمق الشجرة بذهن شارد، ثمَّ يعود طرفُها فيرتدُّ للداخل، ليستقرَ فترة على السجّاد الثمين، شأنَ المهموم بأمر خطير...

- **لم أعد أحتمل أكثر، يجب أن أنهيَ الأمر اليوم، بل الآن.**

تمتمت بصوت خفيض، ثم طالعت ولدها ذي الأعوام الخمسة، يعبث بجهاز الآيباد.

شعرت بقشعريرة تسري في أوصالها، حين سمعت صوت زوجها، يتقدّم وقد ارتسمت ابتسامة مشرقة على شفتيه...

- **صباح الخير أيّتها الناعمة الجميلة.**

أمسك براحتها وطبع عليها قبلة، مقلّدا حركة الفرسان، قبل أن يستدير لطفلها، محاولا إضحَاكه...

- **سأصنع إفطار الصَّباح بنفسي.**

أوقفته بحركة متشنّجة من يدها:

- **لا أريد شيئا، اجلس أرجوك، أودُّ أن أفضيَ لك بأمر هام.**

رفع حاجبيه مندهِشا...

- **خيرٌ إن شاء الله!.**

نادت الخَادم، فجاءت مسرعة، وابتعدت بالولد...

- **ماذا يحدث؟**

قرّب كرسيا منها، وراح يطالعها بانتباه...

- **لقد أثرت قلقي.**

- **لا شيء يستوجب القلق، أنا بخير وكذلك الولد.**

- **فماذا حدث؟**

- المشكلة...

- ماذا يا زوجتي العزيزة؟ تكلَّمي.

- أنا...

ثم انفجرت في البكاء، فتجمَّدتْ ملامحه...

- لا أعلم كيف أخبرك.

- تخبريني بمَاذا؟

- سأطلب منك معروفا وأرجوك بحقِّ ما بيننا من مودَّة أن لا تردَّني.

- أطلبي ما شئتِ..

خفضت عينيها للأرض...

- أودُّ الانفصَال عنك.

- ماذا؟!

دوَّى صَوته في المكان كمن فُزّع من نومه...

- أرجوك، لا تعذَبني.

قال والذُّهول ما زال مرتسماً على وجهه...

- لماذا؟ ماذا جرى؟

- أرجوك لا تسيء الظن بي، أنا امرأة شريفة وأنت تعلم ذلك.

- لو أحسَست بشيء من ذلك ما قضيت معكِ يوما واحدا.

- أرجوكَ دعنا ننفصل بهدوء.

- هكذا.. ببسَاطة.. دون أن أعرف السبب حتّى؟

- المسألة أنّني...

- المسألة ماذا؟ أخبريني أرجوكِ.

- لقد سئمت.

- ماذا؟

ندّت عنه مختلفة هذه المرّة...

- نعم، ضجرت من هذه الحياة الرتيبة.

رفع يديه وقد فتح فاه...

- أيّة حياة رتيبة؟ أنا لم أكن مُمّلا أو مُهملا يوما، هل قصَّرت بشيء في حقِّك؟! إنني أبذل قصَارى جهدي لإسعَادك.

- أعلم ذلك، لكنّني لا أستطيع الاستمرار على هذا الشكل، الأيّام تمضي كما هي لا جديد فيها.

صاح بنفاذ صبر:

- يا إلهي، وهل تشاهدين الناس يوما في باريس ويوما في إنجلترا؟! ما هذا الجنون؟!

- أرجوك لا داعيَ لأن تغضب هكذا.

- لا داعي؟! تطلبين مني الإنفصال هكذا دون سبب، وتقولين لا داعيَ لأن أغضب؟

- حسبتك ستتقبّل الأمر..

- دون نقاش؟

ثمّ سكت وأدار رأسه عنها، ليرتدّ إليها قائلا:

- هل تدركين معنى أن تتطلَّقي للمرَّة الثانية؟ أنت لست صغيرة في السن وولدُك في الخامسة من عمره؟

رَّدت بحنق شديد:

- وماذا في ذلك؟ أنا لست بحاجة لأحد.

قام من على الكرسي، ووقف قرب النافذة، كان عصفور قد حطَّ في عِشِّه بأعلى الشجرة، وراح يلقم صغَاره، ما جناه بعد رحلة البحث عن الطعام.

فكَّرَ: لطالما شغف بالطيور والقراءة عنها، كان حلمه بسيطا، عِشَّ هادِئ ينعم فيه بزوجة طيبة وأبناء ظرفاء، لكنَّ المقادير تأبى عليه ذلك.

وتذكَّر القُطرُس، فابتسم بألمٍ، وسألها:

- أسمعتِ بالقُطرُس؟

تسَاءلت مرتابة في سخريَّته بها:

- وماذا يكون؟

- إنَّه طائر شديد الإخلاص لشريكه، يقطع آلاف الكيلومترات في رحلاته، لا يفكرٌ في التزاوج مع شريك آخر، بل ينتظر الفرصَة التي يعود فيها ليعيش معه طوال عمره، هل تعلمين من هو هذا الطائر؟ إنَّه أنا، نعم، أنا المخلص الذي وضعك وطفلك فوق رأسه، وسعى لإسعادك ما استطاع، تجازيني بطلب الطلاق، لأنَّك مللت صحبتي.

- أرجوك افهمني، أنا أقدِّر لك كل ما صنعت لأجلي.

- أبدا، ليس في بالك شيء من حياتنا المشتركة.

- أرجوك لا تحملِّني ما لا أطيق.

قال بألم مضَاعَف:

- ليكن ما تشائين، وعسى أن لا تندمي على قرارك.

وخرج من البيت، وسمعت صوت المُحرِّك يبتعد بالسيارة، وحين رفعت رأسها شاهدت الشجرة تهتزَّ بفعل رياح مفاجئة.

دُخَان الحِقد

لم يترك طريقة ولا واسطة، تليّن قلب أبيه إلاّ وسلكها، لكن دون جدوى، حتّى قرّ في نفسه أنّه يكرهه ويرغب في تقزيمه أمام إخوته، بل أمام الآسيويين "الحفاة... الجياع". هذا مكان رائع يطلّ على شارع تجاري، كان يمكن أن يشيّد فيه محلّا يدرّ دخلاً ممتازاً، يقيه العوز، ويزيل ما علق بقلبه من التعاسة والشقاء وهو يجري وراء عمل يعتاش منه، بعد أن عاد من الخارج بشهادة لم تنفعه بشيء.

رغم ذلك، رفض أبوه أن يساعده، دون أن يوضِّح السبب حتى...

- هل أبدى أحد من إخوتي رغبته في المكان؟

- لا

- هل هناك مشروع تخطط له؟

- لا

ثمَّ يصمت أبوه ويتشاغل عنه بهاتفه، ليتفاجأ في صباح يوم نحس بالآسيوي وقد شمّر ذراعيه للعمل بهمّة، ولا تجديه نفعاً، ثورته عليه، ولا صراخه الذي ارتفع حتى جاوز محيط الدّكان، ولا شحوب وجهه وأبوه ينهره أمام الآسيوي.

وها هي البرّادة اليوم رائعة بواجهتها الزجاجية السميكة، بأرففها الممتدّة على طول الجدران ملآى بالبضائع، مقزّزة بالآسيوي كريه الرائحة، يتحرّك بخفّة ملبياً طلبات الزبائن، وعلى فمه ابتسامة الظفر، وربما الشماتة به هو الواقف في الخارج، ينظر إليه بعينين ملؤهما الحقد، ورغم تحذير أبيه، دخل البرادة وفتح باب الثلاجة وأخذ علبة مياه غازية، ثم ألقى بثلاث قطع نقديّة من ذوات الخمسين فلساً، على طاولة الآسيوي باستهانة، وكان يودّ لو أن الآسيوي يحتجّ ولو بكلمة، لكي يمطره بوابل من السباب، إلاّ أنه آثر الصمت وابتسامة الذلّة والمسكنة مرسومة بوضوح على وجهه، فتركه، بعد أن سدّد إليه نظرة تشي بكل ما يعتمل في قلبه من احتقار لعامل تمسكن حتى تمكّن من أن ينال هذا الجزء الرائع من بيت أبيه، مجهضاً حلمه الجميل.

وهزّ رأسه عجباً وسخرية، متسائلاً عن سّر هذه القسوة! إنّ أباه لا تخفى عليه خافية، ويلحظ كم أن ولده، لا يترك يوما يمرّ دون أن يراجع الوزارات والمؤسسات، مع ذلك يفضّل عاملاً آسيوياً عليه! ثمّ ألا يكفيه أنّه ضيّعه صغيراً وتركه لخالته تربّيه، بعد أن ماتت أمّه في عزّ الشباب؟ ليعود فيجرّعه سم التفريق بينه وبين إخوته غير الأشقّاء؟ لقد نسي أمّه تماماً، فما عاد يذكر اسمها ولا يترحّم عليها، فهل يتمنّى موته هو الآخر؟.

ورنّ هاتفه، وقرأ الرقم، فأجاب وقلبه يخفق بشدّة، إلاّ أن المتحدّثة كانت تخبره أنه لم يوفَّق في الامتحان. أغلق السمّاعة، وقد خيّمت عليه سحب غليظة من الهمّ والكآبة، شعر بنفسه سمكة صغيرة تقاوم التيّار، كأنّما رياح سموم تدفع به للبعيد، فيما جسمه عاجز عن مقاومتها.

ثمَّ امتلأ وجهه دماً، وانتفخت أوداجه، وتحوّل إلى تنّين ينفث حقداً أحمراً مرعباً، ودّ لو يشوي به وجوه الناس دون استثناء، صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونساءهم، ومضى وفتح الباب على يمين برّادة الآسيوي، لاعناً الناس والأحياء وكلّ شيء وقعت عليه عيناه، صعد درجات البناء إلى الطابق الأول، وفتح باب غرفته، ورمى بنفسه على السرير، وغفت عيناه وقلبه ما زال يشتعل حقداً وكراهية.

استيقظ على رائحة دخان وعلى أصوات مختلطة، ومن نافذته شاهد الناس، يُهرعون إلى برّادة الآسيوي. ماذا حدث؟! نزل بأقصى سرعته، فشاهد الآسيوي ممدّداً على الأرض، والناس يحاولون إسعافه، ومجموعة أخرى تحاول إخماد النيران المشتعلة في البرّادة.

همّ بالمساعدة إلاّ أنّ يداً قوية أمسكت به، تطلّع يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً، ارتعش جسمه وأحسّ بحقده يتجسّد أمامه، ويمنعه من القيام بأي شيء، فارضاً عليه أن يشاهد كلّ ما يجري بسلبية غريبة عليه.

وتراجع للخلف، طائعاً غير قادر على مخالفة الطيف الخفي، بل إن إحساساً بالراحة راح يملأ قلبه، وخففت جوانحه خفقة الفرح، حين أدرك أن النار أتت على كلّ ما في البرّادة، وأنّ الآسيوي في حال حرجة.

في ظلام الليل

تُوفّي الحاج محمد، في الساعة الثانية بعد منتصف الليل، في ظروف بالغة السوء، كان الظلام مُخيّما بعد انقطاع الكهرباء، وكان المطر ينهمر بغزارة، بحيث سدّ الطرق وملأ الشوارع بالبرك والأوحال، لاذ الناس ببيوتهم يحتمون من زخّات كأنها غضب السماء، يصاحبها رعد مرعب، تضجّ له قلوب الكبار قبل الصغار.

ولم تكن زوجة الحاج محمد "الأولى" ولا أيّ من أبنائه منها، إلى جانبه ساعة موته،وإنّما أخرى شابة، هي أم لثلاثة أطفال أكبرهم لا يجاوز السابعة، وجدت نفسها في وضع لا تحسد عليه؛ فعدا عن كونها غريبة على أهل البلد، كانت مكروهة من أهل ضرّتها، وأهل زوجها، ومن جاراتها، على حدّ سواء، نظرا لاعتقادهم أنّها امرأة سيئة؛ سرقت زوجا من زوجة مخلصة لبيتها وأبنائها.

وفي ذلك الظرف الكئيب، وسط كثافة الظلام، وهزيم الرعد، وضجيج تساقط الأمطار على زجاج النافذة، لم تجد الزوجة الشابة بدا عن إبلاغ ضرّتها هاتفيا، بموت زوجها، والجلوس قرب جثمانه المسجّى على فراشه، عاجزة إلا عن الانتظار.

وإنّها لفي جلستها هذه، تتقاذفها رياح الواقع الصعب، يمينا وشمالا، وتطرق رأسها هواجس المستقبل بمطارق من حديد!، لتشعر وكأنها تحدّرت من قمة شاهقة إلى الحضيض، حين قطعت حبلا كان عليها أن تحافظ عليه، فلا زوجها دام لها، ولا أبناءها استووا شبابا يعينونها على شدائد الحياة.

لقد أوقعت بالرجل الكهل، وفرّقت بينه وبين أبنائه الكبار، وملأت قلبه غيظا وحنقا، بحيث اقتنع أنه لا يمكنه الاعتماد على أحد منهم، وأنّ أبناءه منها سنده الوحيد، وفوق ذلك لم تحاول أن تزيل شيئا مِمّا علق بأذهانهم، بل نفرت منهم نفورا شديدا، جعلها لا تتحفّظ في إظهار مشاعر البغض لهم.

أمّا ضرّتها فشأنها معها كان مختلفا، لقد فشلت في انتزاع حبّه واحترامه لها، فإنّ الرجل الذي باء بحمله الثقيل، ظلّ طوال الشهور

الأخيرة يعذّبه إحساسه بالذنب، نظير ما اقترفت يداه بحقّ أمّ عِياله، فكان لا يبرح يتذكّر ما سلف من أياديها البيضاء، فهي "طيبة ابنة طيبين، لم يحدث يوما أن شكت من قلّة مال أو سوء حال، لأحد من الناس، على رغم عصبيته ومزاجه المتقلّب!. أستاذة في العناية ببيتها، وبحسن ترتيبه، وطاهية لا تجاريها امرأة أخرى، تتقن من المهارات ما يؤكد أنّها سيدة بيت حقيقية، أعدّت من قبل أمّها لتكون زوجا صالحة، لا تطلب شيئا سوى رضا زوجها، وسوى نجاح أبنائها واستقرارهم مع زوجات صالحات".

وعندما اضطر للزوم الفراش، بعد إجراء جراحة لفتح القلب، كان لسانه لا يتوقّف عن مناداة زوجته الأولى، والثناء عليها، دون أن يتحفّظ لحظة عن ذمّها هي الزوجة الثانية، وإلصاق صفات الكسل والإهمال والبلادة بها، متّهما إيّاها بسوء النيّة، وتمنّي موته والتنصّل من عبء رعايته، وقد بلغ بها الغيظ أشدّه، حين أبدى ارتياحه لأنه لم ينجب منها بنات يكنّ على شاكلتها.

والحقّ أنّها لم ترتبط بالحاج محمد حبّا فيه، أو إعجابا به، وإنّما هربا من واقع صعب، لم تشكّ في أن جميع شقيقاتها يشاطرنها الرغبة في الهروب منه.

لقد كانت ضائعة وسط ثماني بنات، ضاق بهنّ أبوهنّ، حتّى تمنّى موتهنّ جميعا، وكان يقول إنّه مستعدّ لمبادلتهن بولد واحد يقف إلى جانبه ويشدّ ظهره، وقد باعها لزوجها هذا الميت، زاهدا فيها، سعيدا لأنّها ستفارقه إلى بلد بعيد، وكانت هي بالمقابل لا تقلّ سعادة عنه لتخلّصها من بيت يقيم فيه أب لئيم وزوجة أب قاسية.

ولو ان أمّها كانت على قيد الحياة، لكان من الممكن أن تحظى من الحنان بما يرقّق شعورها، ويهذّب أخلاقها، لكنها لم تنل منه سوى نزر يسيل، إذ سرعان ما ارتحلت أمّها إلى الرفيق الأعلى، فعاشت بين أخواتٍ قانطات من كل شي، وفي هجير أبٍ كان يقابلها بالشدّة في القول والفعل، ولم ترث منه سوى الوجه العبوس، والمزاج السيء، وضيق النفس لأتفه الأسباب.

وتمنّت صادقة لو انها فازت بأمّ تشبه ضرّتها، لكان لحياتها أن تنقلب رأسا على عقب.

وشاع في نفسها إحساس هو مزيج من الاحترام للمرأة العظيمة، والاحتقار لنفسها، التي دفعت بها لأن تسير في هذا المنزلق المظلم، فتزعزع أركان بيت كان نموذجا للبيت الكريم، وتختم على سعادة من فيه بالشمع الأحمر.

وصحت على صوت ضرّتها وهي تدخل البيت، بصحبة أبنائها الثلاثة، ثمّ تفتح باب الغرفة، وتشاهد زوجها الميت، فيعلو صراخها شاقّا جيب الليل، أمّا هي فانزوت، شاعرة بنفسها تتضاءل حتّى تختفي.

نجْمَةٌ شَارِدَة

رجل ليس ككلِّ الناس، مختلف حتّى في تفاصِيله الصَّغيرة، الطيبة والسَّماحة ينبتان قمحًا في عينيه، والابتسَامة تزهر وديانا خضْراء، وليس من شيء يمكن أنْ يغيِّره. ثمَّة روح بين جنبيه لا تعرف للكره طريقا، ولا للحقد مكانا، هو فقط عشق من كل قلبه، بنى بيتا، ملأه بأشجار السَّعادة، تتدلَّى منها الأغصان المثمرة، وانتظر اللحظة التي تجمعه بالعروس التي أحب، عروس نثر تحت قدميها نبضات قلبه، أخبرها عن أحلامه النقية كنفسه الخيِّرة، ودعاها كي تعيش معه في بيت أحلامه.

تلك العروس كانت تعيش في شرنقتها، تسهر حتى أذان الفجر، وتنام غير عابئة بشيء سوى شعرها الأسود، وعينيها الناعستين، وقوامها المشوق، تتأمَّل جمالها في المرآة صَباح مساء، كتبت في دفتر ملاحظاتها، "تقدّم اليوم الخاطب الثلاثون"، وتنتشي فرحا وسعادة، ثمَّ تمسك هاتفها، تتصل بصَاحبتها:

- **لقد جاء.. طلب يدي من أبي؟**

تضحك الأخرى:

- **هل راق لك؟**

- **تمزحين لا شك.**

- **حرام عليك إنُّه رجل طيب.**

- **أتزوج هذا السمين الذي يشببه فاكهة الإترنج؟!**

- **لكنه غني ومقتدر.**

- **رفضت من هو خير منه.**

- **ستبورين.**

وترد بغطرسة:

- **لن يهدأ لي بال حتى يصلوا للرقم** 100.

وتعود للمخدَّة، وتبتسم باستخفاف... دخل السَّمينْ... شاهدته، شكله مضحك بأنفه الضخم، وابتسامته الغبية، دخل خائفا، أظنُّ انَّه كان مشفقا من رفضي، ربما يحبُّني، لكنهم كثر هؤلاء الذين يطمعون في

حبّي، ولست مسؤولة عن عواطف الجميع، قال لأبي انُّه بنى لي بيتا وهيّأه حتَّى أصبح حديث الناس، وماذا في ذلك؟ بيت ككل البيوت، وليس البيت الذي أريد، تلك صديقتي نالت ما تتمنى، أمير ابن أمراء، يكاد لا ينقضي شهر دون سفر، وهي ليست أجمل مني، وتلك الأخرى حظُّها من السَّماء، ليست بقوامي وتنال زوجا يمتلك كل شيء، وأنا حظِّي التعس يأتيني بهذا الأبلة؟ تسألني أمّي: "**انه غني مقتدر ومن عائلة مرموقة، فماذا تريدين أكثر**"؟ كيف أواجه صديقاتي بزوج مثل هذا؟.

كان الليل قد أقبل بردائه الأسود، توقَّف عند البقّالة، جلس على الكرسي الخشبي عند الباب، أطرق برأسه، كانت لحيته قد طالت، لم يعد يعنى بتسريحها، أهمل حتى الغترة والعقال، صّار يخرج حاسر الرأس منذ أن رفضته، ثوبه وسخ ورائحة العرق عالقة به، نظرات الناس وسخريَّتهم من رجل كبير، دائم الشرود، لم يعد لها أدنى أثر في نفسه، أخوه غير الشقيق استفاد من تسكُّعه، استولى على المحل الذي تركه أبوه، بحجَّة أنه لم يعد يعي ما يفعل، توفّيت أمُّه وتزوّجت شقيقاته، وهَوَ هُوَ جالس على الكرسي عند البقالة، يراقب نجمة شاردة تطلُّ على البيت، بعينين حزينتين، لم يعد للبيت قلب ينزل فيه، أهمله حتى تحوَّل منزلا للغربان.

وحدِي وشَاهِدَيَ التُّراب

زملائيَ الأربعة يحملون نعشي، هذا كل ما حظيت به من تكريم، لا أهل، لا أصدقاء، لا جيران، ولا أي من أهل الإيمان الراغبين في الثواب الجزيل.

فقط أربعة يحملون نعشا قديما، تفضَّل به أهل القرية الظالم أهلها، الممعنة في إذلال كل غريب يبحث عن لقمة عيشه، بعيدا عن أهله ووطنه.

ساروا في خطوات بطيئة، صَامتين، واجِمين، محزونين لفراقي، حتى إذا وصلوا لقبري قال أشدُّهم التصاقا بي:

- **سيرتاح الآن.**

ومسح دمعة عزيزة من عينه.

قال الثاني:

- **بلى... سيرتاح لا شك.**

وقال الثالث وكان أكثرهم مشاكسة لي:

- **لقد أحببته... أقسم اني أحببته.**

فعلق الرابع بالقول:

- **انتهى كل شيء الآن... ادعوا له بالمغفرة والرحمة.**

أنزلوا جسدي للقبر وأهالوا عليه التراب، ثمَّ قرؤوا شيئا من الأوراد والأدعية وانصرفوا.

بقيت وحدي أتأمل قبري والحجارة الملتفة حوله. لا أحد في المقبرة سواي، فقط أنا الجالس عند القبر، أتساءل: ومَاذا الآن؟!.

اقترب عصفور من قبري، ربما أغراه مرآى الرمل الناعم. سعدت به جدا، وتمنيت لو يمكث طويلا فيه، لولا أن جاءه حجر من بعيد، جعله يفرُّ فزعا. كان طفل مشاكس، قد رمى بحجر، وأقبل مهرولا وراء العصفور. غضبت جدا، وتمنيت لو أعاقب الطفل، لكن ما باليد حيلة.

دخل شاب من الباب الكبير، امتلأت أملا بزيارته قبري، لكنه توجه لآخر، قرأ عنده شيئا من الذكر، وانصرف دون أن يعنى حتى بالنظر إلى قبري.

مكثت في مكاني قرابة الساعتين، عاجزا عن فعل شيء، حين صحوت على صوت جلبة قادمة. أسرعت لباب المقبرة، كان خلق كثير يتقدَّمون حاملين نعشا جديدا.

دخلوا المقبرة، وأنا أتابعهم بعيني، ثم توقّفوا عند الزاوية اليسرى منها، أنزلوا الميت في لحده، والتفوا حول القبر، يستمعون للأذكار. دخلت من بينهم، فوجدتهم جميعا واجمين، لا دموع ولا كلام، عجبت لأمرهم، حين سمعت أحدهم يهمس لآخر:

- أحقا مات منتحرا؟!

- يبدو ذلك، لقد حفر قبره بيده وأوصى أهله أن يدفنوه فيه، بعد أن أكد لهم أنه سيموت هذا اليوم.

- هو قانط من رحمة الله.

صاح رجل قريب منهما:

- اتقِ الله يا هذا... رحمته وسعت كل شيء.

لزموا الصمت جميعا، فيما رحت أمنِّي النفس أن أجد لي رفيقا في عالمي هذا، لكني لم ألحظ أحدا، حتى بعد أن انصرفوا، انتظرت طويلا دون فائدة.

تساءلت... ربما ذهب كما يقول الرجل إلى... فزعت من الفكرة فزعا شديدا، وسارعت بالرجوع لمكاني عند قبري، وأنا نهب لعواطف شتى، ولم يخفف عني شيئا مما أنا فيه، غير دخول طفلة في السادسة من عمرها إلى المقبرة. كانت ابتسامتها رائعة وهي تلعب ببالونها، سرَّت عني كثيرا، حتى أزالت خوفي، سألت الله أن يطيل عمرها وأن لا تكون في مكاني إلا بعد عمر طويل ملؤه السعادة والهناء.

سمعت صوتا قويّا ينادي بالرحيل، أسرعت إلى شاطيء البحر، شاهدت سفينة ضخمة، تنتظر الإقلاع، وعديدين يصعدون إليها، كان الربان يصيح:

- **لا تحملوا شيئا... كل ما تحملونه سيلقى للبحر.**

اقتربت منه مسلما، فتطلَّع فيَّ لبرهة، ثم أشار بيده وقال:

- **لا... لست من ركَّاب السفينة.**

أوشكت على الذُّوبان جزعا، فسارع للقول:

- **أنت في الرحلة المقبلة.**

انتهزت الفرصة فقلت له:

- **ألا يمكنك أن تقلُّني؟ أنا غريب عن هذه الديار، ولم أحظ بزيارة أحد.**

فكَّر الرجل لبرهة، ثم ابتسم بمودة:

- **لا بأس... لن يعترض أحد على ذلك.**

ركبت السفينة أو بالأحرى طرت إليها، فمضت تشقُّ عباب البحر.

زهرة الخُلد

كان جرَّاح واستشاري العيون الدكتور أحمد يعقوب، واقفاً يتأمِّل في سُور البيت القديم، حين أحسَّ بحركةٍ خلفه. التفت فشاهد كهلا قصير القامة، يُطالعه بريبة، وعلى رغم السنوات العشر، تعرَّف على الرجل، كان جارهم الحاج عبدالجبار، رفيق أبيه، وأكثر الناس احتراما وتقديرا له من بين معارفه.

قال في صوت غليظ:

- أنا الدكتور أحمد بن الشيخ يعقوب.

رفع الرجل حاجبيه دهشة، وبعد تأمُّل قصير، قال:

- **لم نجدك في فاتحةِ أبيك!.**

- **تعذَّر علي ذلك.**

- **كان يتمنَّى رؤيتك بشدَّة.**

هزَّ منكبيه بحدّة وأجاب:

- **لم يكن باليد حيلة، لو رجعت لما عدمت الموت أو الاختطاف.**

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه الرجل القصير:

- **تمنَّيت لو أنك خاطرت، فهو أبوك على كل حال.**

ازداد وجه الدكتور تجهُّما فسارع الرجل للقول:

- **عموما هذا بيت أبيك، تركناه كما هو، لم يعبث أحد بأيٍّ من محتوياته، عدا عن قيام أم جابر بكنسه بين حين وآخر.**

- **جزاكم الله خيرا.**

- **هل المفاتيح بحوزتك؟**

- **لقد ضاعت للأسف.**

ارتسمت الابتسامة الساخرة مرَّة أخرى على وجه الرجل القصير:

- **انتظرني ريثما آتيك بها.**

وغاب لدقائق، عاد بعدها وناوله المفاتيح وانصرف مسرعا، كأنَّما يفرُّ من شيطان رجيم.

لقد مرَّت عشرة أعوام منذ أن ترك أباه الشيخ، وآثر الهجرة والاستقرار في المملكة العريقة، طبيبا حاذقا وأستاذا جامعيا مرموقا.

تقدَّم من الباب، وفتحه، فسمع له صريرا مؤذيا، هزَّ على إثره رأسه، في حركة وشت بمزاجه السيء. ولج للرواق فطالعه الباب الداخلي القديم، بنقوشه التراثية، كان أبوه شديد الاعتزاز بهذه الخردة. كذلك بدت أصص الزهور، على جانبي الباب، لقد كانت مَحلَّ عناية أبيه، يسقيها الماء كل يوم، ويجهد في دفع النمل والحشرات عنها.

فتح الباب، فتلقَّف أنفه الرائحة القديمة، خالجه شعور بالضيق، لاختلاطها برائحة منزله في لندن. مدّ يده بحركة آلية للزرِ على اليمين، فأضاء المصباح المكان، وكان باب المكتبة في الواجهة، أوَّل ما وقع عليه نظره، قبل أن يرتدَّ بطرفه يسارا، لباب المجلس، حيث كان يجلس أبوه، يحوطه العلماء والأدباء، وطلبة العلم، فلا يغادرونه إلاَّ في وقت متأخر من الليل.

مضى للداخل، وفتح الباب على يمين الدرج، فواجهته صورة أبيه، معلَّقة على الجدار أمامه. بلى هي صورة أبيه شديد العناد، الذكي الذي أضاع عمره بين الكتب باحثا عن زهرة الخلود.

جلس على الكنبة القديمة، القابعة في مكانها في الرواق ما بين غرفته وغرفة أبيه، ثمَّ استسلم لرغبته في إراحة جسده، فتمدَّد عليها، بعد أن أزاح عنها الغبار.

هذا هو البيت الذي نشأ فيه مع والدَيه، قبل أن يختطف الموت أمُّه المسكينة، وهو الآن لوحده تماما، ولا يخال أحدا من أهله وأصحابه،

يتذكُّره، كما أن زوجه وأبناءه هناك في الدولة التي لا تغيب عنها الشمس، ولو شاء الله أن يأخذ روحه لمات وتعفَّن دون أن يلحظه أحد.

هنا شهد طفولته الحزينة، صِباه الكئيب، أحلام الشباب المطمورة، تخرُّجه من الجامعة بمرتبة الشرف، عذاب البحث عن عمل، اليأس والتفكير في الهجرة. لم يعترض أبوه على فكرة الهجرة، بل شجعه على السفر، كان من رأيه أن البلد انتهى تماما، ولن تتحسَّن أحوالُه إلا على يد نبي مرسل من السماء. كان يتنبأ بجوعٍ سيأكل كل طبيعة سمحةٍ في النفوس، ويخرج شرورا لا قِبل للناس بها، جوع سيحوِّل الناس إلى وحوش همُّها أن تأكلَ ما يسدَّ رمقها، شلالٌ دم لن يتوقف عن الجريان، وجرائم تقشعر لهولِها الأبدان، حتى تستطيب الأم أن يموت ولدها ولا يقع في براثن الفقر والمرض. لذا عقد العزم على الهجرة، حيث يمكنه أن يعيش محترما، آمنا على نفسه، منصرفا للعمل والدراسة، وجمع ثروة تضمن له حياة رخيَّة مستقرَّة، وشيخوخة مطمئنة، وليس كأبيه الذي آثر عيشة الكفاف، مكتفيا براتب التدريس، صارفا نصفه على أبحاثه وتحقيقاته.

الأمرُّ من ذلك أنَّه ضَعُف أمام إلحاح أمُّه، فتزوَّجها ونقلها إلى طامورته هذه، الفتاة التي شغفت حبًّا بأستاذها، عارضت رغبة أبيها، وانتقلت للعيش مع زوج لا يملك شروى نقير. لقد خسرت كل شيء؛ فما أن مات، حتى تقاسم إخوتها أمواله بينهم، وتركوها خاوية الوفاض، ولو كان أبوه فتوُّة، لتمكَّن من مناجزتهم، لكنه كان مُتعلِّما ليِّن الجانب، يخشى إراقة دم بعوضةٍ وليس دم إنسان يُسأل عنه عسيرا يوم القيامة.

ابنة الجاه والمال، خسرت حدب أبيها وماله أيضا، وانتقلت للعيش مع رجل فقير، حقيقة وعتها جيدا، فلم تترك دقيقة تمرُّ دون أن تنفِّس فيها عن ألمها، بكلمات تكوي ظهر أبيه. لقد حوَّلت حياته إلى جحيم حقيقي، صراخ وزعيق طوال اليوم، يتجاوز سقف البيت ليصل إلى بيوت الجيران، فيما أبوه لا يشكو ولا يتذمَّر، منكَّب ليل نهار على كتبه ودفاتره.

وابتسم بمرارةٍ حين تذكَّر تعليق أبيه، لقد دخل عليه يوما ووجده يحمل بين يديه كتابا، يقرأ ويهزُّ رأسه أسفا على حاله، بينما صوت زوجهِ يصله، جائرا بالشكوى، لاعنا إيَّاه والساعة التي اقترنت فيها به. قال محاولا التسرية عنه:

- لا بأس يا أبي، لقد عانى سقراط كثيرا من زوجه.

فرد أبوه بابتسامة باهته:

- كان محظوظا أن حكموا عليه بشرب السم.

لكن أباه كان شخصا مثيرا للحنق بحقَّ، فالرجل صاحب العقل الكبير، والموسوعي الذي قلَّ أن يجد له نظيرا، كانت غشاوة على عينيه، تمنعه من تأمُّل السعادة التي يعيش في كنفها زملاؤه من الأساتذة الموظفين في الجامعات خارج وطنه، كانت عزَّة نفسه، تمنعه من أن يداجي فلانا من المسؤولين، أو يكذب في سبيل منفعة ما. لا نفاق ولا مجاملة، فأيُّ حال سيء يمكن أن يتردَّى إليه رجل لا يمتلك سوى راتب يأتيه شهرا، وينقطع عنه عدةّ أشهر. فجأة، شاهد باب الغرفة يفتح، ويبرز منه أبوه، ببشته الرمادي. هَبَّ من فوره، وراح يُحدِّق في الجسد النحيل:

- أبي.

ردَّ أبوه غاضبا:

- بلى، أبوك الذي ظلَّ يحلم برؤيتك لعشرة أعوام كاملة.

خفض عينيه للأرض:

- أنا آسف.

- انتظرتك حتى آخر لحظة في عمري، لكنك بخلت بالمجيء، تركتني للغرباء يتولَّون دفني.

- الظروف يا أبي كانت...

- أيَّة ظروف هذه تمنع ولدا من زيارة أبيه المسن؟

- لقد خشيت الموت أو الاختطاف.

- لقد انتهت الحرب منذ سنوات! فلا تتعلل بمثل هذه الأمور.

- أنا...

- أعرف ماذا ستقول، لقد طابت لك الحياة، عمل وزوجة وأبناء، كيف تترك كل ذلك من أجل شيخ فقير، محطَّم القلب.

- صدِّقني...

- اسمعني، لقد جئتك فقط لأطلب منك معروفا أخيرا، لقد عشت عيشة الكفاف، بينما حضرتك لم تفكِّر في إرسال دينارٍ واحد لي.

- أنا...

- أنا لا ألومك الآن، لقد انتهى كل شيء وأنا في مقعدي الآن مرتاح مطمئن، فقط ما زال في نفسي شيء من مخطوطاتي.

- أتودُّ مني طباعتها؟

- نعم، إن كل ما أتمناه أن تسارع إلى طباعتها.

- أفعل إن شاء الله.

- أتعدني؟!

- أجل، أعدك بذلك.

- حسن، سأثق بكلمتك.

ثمَّ اختفى وراء باب غرفته.

أمَّا هو، فانتبه جالسا على الكنبة، دعك عينيه، وأسرع فأمسك بمقبض باب غرفة أبيه، لكن الباب كان مقفلا. عاد للكنبة، وألقى برأسه للخلف:

- مجرَّد حلم، مجرَّد حلم.

توجَّه متثاقِلا لغرفة المكتبة، فتح بابها، فشاهد الكتب في كل مكان، ترتفع حتى تصل السقف، هزَّ رأسه متذمِّرا؛ لطالما حرمه شغف أبيه هذا، من أشياء كثيرة كانت في متناول الجميع.

وجد أكثر من مُؤلَّف بخطِّ يد أبيه، أمسك بإحداها، وقرأ.. تحقيق لديوان الشاعر الفيلسوف، أمسك بآخر.. دراسة حول حقبة أدبية مسكوتٍ عنها، أمسك بثالث ورابع وخامس...

- ثمَّ ماذا؟

صاح بحنقٍ، وهو يرمي المخطوطة بعنف على المنضدة:

- أجبني يا أبي.. ثمَّ ماذا؟ ألا يكفيك أنك حرمتني من أبسط الأشياء، لتأتي الآن وتأمرني أن أطبع مخطوطاتك المغبرَّة، المسببة للسُّعال؟!

وألقى بنفسه على الكرسي، قرب المنضدة، وغطَّى وجهه براحتيه، وغرق في شعور كريه تسبح فيه أطياف ذكريات مليئة بالشجن والكآبة، ثمَّ دفع المنضدة بقوَّة بقدميه، فتناثرت الأوراق على أرض المكتبه العارية حتى من قطعة سجَّاد مستعملة. ووقف دفعة واحدة، وصَرَّ على أسنانه، وقال في تصميم:

- لقد انتهى كل شيء بموتك يا أبي، انتهى كل شيء، من حقِّي أن أعيش حياتي بالصورة التي أريدها.

وأسرع فخرج من البيت، دون أن يُعنى بغلق الأبواب، توجَّه مباشرة لبيت جاره الحاج عبدالجبار، طرق الباب بقوَّة، فخرج هذا متسائلا، ناوله المفاتيح، وسأله دون مقدِّمات:

- أيمكنك أن تبيع البيت؟

ردَّ الرجل في دهشةٍ بالغة:

- ماذا؟

- كان أبي شديد الثقة بك، لذلك أودُّ منك أن تبيع البيت وترسل لي المبلغ، بعد أن تأخذ أتعابك.

وأخرج من جيبه بطاقة، ناوَله إيَّاها:

- ستجد فيها عنواني ورقم عيادتي.

- لماذا تفرِّط في بيت أبيك؟

- لا أريده، لا أريد شيئا يذكرني بهذه الحياة التعسة.

- وماذا عن مخطوطاتِ أبيك، مؤلفاته؟

- تصرّفَ فيها، إنها لك.

ومضى، وجاره يضرب كفًّا بكف.

حَديثٌ مَعَ النُّجُوم

بأصَابعٍ اعتادت امسَاك الكوب بثبات، راح عبد الجليل يتلذّذُ بشرب الشاي، مُثيرا حفيظة عبد المنعم صاحب المقهى، فهذا هو الثالث الذي يملأ به جوفه، دون أن يدفع مقابله فلسا واحد، ولا بدّ أن مشكلة عبد الجليل كانت تُلحُّ عليه، فبعد أن كان المقهى قِبلة الناس، خصوصا في أيام العطل والأعياد، صار عددهم يقِلُّ تدريجيا، حتى اقتصر على بعض الغرباء، وهؤلاء أيضا، لا يكادون يتعرّفون على عبد الجليل حتى يفرُّوا دون عودة.

مرَّات عديدة قرّر فيها عبد المنعم طرد عبد الجليل، لكنه سرعان ما يتراجع، كُلّما نظر إلى وجهه وقد تضخّم حتّى أصبح كرةً ثقيلة

برزت فيها خطوط متشابكة -من آثار العمليات العديدة، فيما شُدّت العينان إلى السماء، فهما في حديث دائمٍ مع النجوم- وتراءت لذهنه تلك الصورة الواضحة في الذاكرة، يوم كان هذا الحُطام، مُدرّسا قديرا، ومُشرفا حازما، يخشى سطوته المراسلون والفرّاشون على حدٍّ سواء.

عبد الجليل -الذي يجلس اليوم على مقعدِه الخشبي، مشوّه العقل والجسم، لا تستقرّ عينه على شيء- كان يسترعي انتباه الجميع، بأحاديثه الشيّقة ومنطقه السليم، وفصَاحته التي تعبّر عمّا تريد بكلمات قليلة، وكأنّه كان يُحضِّر كل كلمة قبل نطقها. هنا، بثوبه الأبيض الجديد دائما، وغترته وعقاله العربي، وعطره النفّاذ، اعتاد الجلوس بصحبة زملائه المُدرِّسين، نموذجاً للمربّي الفاضل، حيث الحزم واللين، وقوة الشخصية وطيبة القلب، والثقافة والتجربة.

أمّا هذا الصامت دائما، الذاهل عن كلِّ شيء، فهو مسكين، له أكثر من ثمانية أعوام، لا يتذكّر من يكون، ولا يعرف مكانا سوى هذا المقهى داخل السوق الشعبي. الأطباء نفضوا أيديهم منه، فهم عاجزون عن علاجه، وأقاربه تخلّوا عنه حتى أخوه غير الشقيق، فلم يتبق له سوى أخت، دائمة السؤال عنه، كذلك آثرت زوجه الطلاق، متعلّلة بضعفها عن رعايته ورعاية أبنائها منه. والأصدقاء أيضا، لم يكونوا أصدقاء، كانوا مُجرّدَ أصحابٍ يخرجون معه، انقطعوا عنه حين أصيب في الحادث الجلل، وباعدت بينه وبينهم المسافات.

تتسِع عيناه أحيانا، ويشرق وجهه، وترتسم ابتسامة سعادة على شفتيه، سرعان ما تتطوَّر إلى ضحك متواصِل، وأحيانا تنقبض ملامحه،

ليبرز الحزن جليا صارخا، يدفعه للبكاء، دون جدوى من محاولة تهدئته، ثمّ يكسوه هدوء غريب، يُحوّل صاحبه إلى خشبة مسنّدة، ساكنة سكون الأموات، حائرا أمام لغز الحياة، متسائلا عن عِلّة تغيُّر الإنسان إلى النقيض، جَرّاء حادث سيارة.

وهذه المرّة أيضا، أحسّ عبد المنعم بالعجز يشمله، فلا هو قادر على الخروج بحَلٍّ لتراجع مدخول المقهى، ولا هو مستطيع طرد عبدالجليل، رغم إيمانه بأنه وفّى حقّ الجيرة والصحبة القديمة، وشعوره أنّه لم يعد قادرا على تحمُّل المزيد. وربّما بسبب العجز نفسه، والضيق الذي يشعر به، وجد نفسه تصيح بغضب:

- **عبد الجليل...**

فأعاد الرجل المسكين من عالمه الخفي، إلى أرض الواقع، وقد جحظت عيناه خوفا وقلقا، فتمتم فزعا:

- **ماذا؟**

عندها وبدلا من أن يطلق عبد المنعم سيلا من الكلمات، يُخفِّف بها شيئا من أشجانه، انتابته شفقة عظيمة تجاه عبد الجليل، زادت من إحساسه بحجم المأساة التي يعيشها إنسان مثله، تردّى به الحال حتى أصبح مسخا، يهرب منه الجميع بمن فيهم الأقارب والأصحاب، فقال في صوت منكسر:

- **لا شيء.. استمتع بشرب الشاي.**

ثمّ أخذ بتأمُّله، وعيناه تتندیان بالدمع.

تجربة رهيبة

كان قد وصل لقرار نهائي، وهذا يعني أن يعيش التجربة الرهيبة نفسها، وأن يعاني مضاعفاتها للمرَّة الثانية.

إن جسمه ما زال يحتفظ بآثار الجراح الماضية، وإنَّه ليشعر بقشعريرة تسري في أوصاله لمجرَّد التذكُّر، غير أنَّ السجن أو الفقر، أشدُّ وطأة على نفسه، وإذا كانت الزوجة المُحبَّة ستتفهُّم الأمر، فهل سيعي أولاده أنَّ أباهم مطالب بمبالغ كبيرة، وعليه تسديدها للناس وإلا فسيكون مصيره السجن لسنوات طوال؟ كيف وأكبرهم لا تجاوز الرابعة

عشـرة، وأصغرهـم فتـح عينيـه وفي فمـه ملعقـة مـن ذهـب. شـعر بلمسـة رقيقـة علـى كتفـه، ابتسـم رغـم ضيقـه وكـدره...

- إجلسي يا زوجتي العزيزة.

جلست، مُؤمَّلة بصيصا من الضوء...

- لقد خذلنا الرجل، رفض أن يقرضني دينارا واحدا.

لزمت الصمت، عاجزة عن قول كلمة واحدة...

- لا بد من حلٍّ سريع، الناس لن ينتظروا أكثر.

بدت كمن يحاول الخروج من الحفرة دون طائل...

- ليس لنا إلاَّ...

إنفجرت في البكاء...

- جد حلّا آخر أرجوك.

- ما باليد حيلة.

- لقد أوشكت على الهلاك في المرَّة الماضية.

- كان الله بالعون.

- إنَّ صحتك لم تعد كما في السابق، سيسلبون ما تبقَّى من قوَّتك.

- فليأخذوا روحي لو شاؤوا، لن أترككم للضياع.

أمسكت بكفَّيه وراحت تغمرهما بقبلاتها...

- أرجوك، سنجد حلا، صدِّقني نستطيع تخطّي الأمر.

- ليس سوى حَلٍّ واحد، أنتِ تعلمين ذلك.

- أرجوك.

قال في تصميم:

- لا يوجد متسع من الوقت يا زوجتي العزيزة، علي أن أنهيَ الأمر قبل عودة الأولاد.

وأضاف في صوت مرعب:

- إيّاكِ أن تستدعي أحدا ولا حتَّى الطبيب.. إيّاكِ.

وبسرعة، ركض لغرفة المكتب. أوصد الباب، ثمَّ أزاح السجّاد عن الأرض، فبدت حفرة كبيرة مغطّاة بقرص شديد الإحكام والصلابة، نزع ما فيه من مغاليق، ورفع الغطاء، ثمَّ ألقى بنفسه. وقع في مكان مظلم، شديد العفونة، يشبه قبرا كبيرا. ردَّد كلمات غير مفهومة وأحرف مبعثرة، وعينيه شاخصتين للأمام. انتشرت رائحة غريبة، تلاها دخان كثيف، وارتفعت أصوات منكرة، وبرزت أشكال أحسّ بها تحوطه من كل جانب، ثمَّ تبيَّن مسخًا مهُولا بعينين كشعلتي نار، ونابين يصلان للأرض، يجلس على كرسيٍ كبير. قال في صوت مضطرب:

- جئت أطلب خدمة.

ردّ المسخ وهو يحرِّك لسانه مُتلذِّذا:

- لا بأس، لكن الثمن مضاعف هذه المرّة.

أوشك على التراجع لولا أن لاحت له صور أطفاله، فقال بشجاعة:

- خذ ما شئت.

أمسكت به أيد ثقيلة كالصخر راحت تهصُر جسمه، حتى شعر بعظامه تتكسّر، ثمَّ انغرزت أنياب ضخمة، لم تبق قطرة دم في أوردته، صاح بكلُّ ما تبقَّى في جسده من قوّة، حشرج، ثمّ هوى إلى الأرض.

فتح عينيه ليجد زوجه جالسة بالقرب منه، جاحظة العينين ممتقعة الوجه. تأمّل في المرآة الكبيرة أمامه، هاله أنَّ وجهه شاخ حتّى برزت عظامه، وتحوَّل شعر رأسه للبياض، ونحف جسمه بشكل مروِّع. أراد أن يقول شيئا غير أن عينيه اصطدمتا بعين رجل قدَّر أنَّه الطبيب، اختلس نظرة غضبى لزوجه، قبل أن يسأله الرجل مرتابا:

- ماذا جرى لك؟ لم أشاهد مثل جراحك من قبل!

- لا أعلم، أصَابني الضعف والوهن فجأة...

- كنت ملقىً على الأرض بلا حراك، جسدك كالخشبة.

- صدقني إنَّها حال غريبة تردني بين حين وآخر، دون أن أعرف لها سببا مقنعا.

- ألم يعتدِ عليك أحد؟ ألم تحاول الإنتحار؟

ردَّ بغضب غير قادر على رفع صوته:

- لِمَاذا هذه الأسئلة؟! أرجوك قم بواجبك فقط.

- لقد وصفت لك بعض الأدوية والمنشِّطات.

ثم التفت لزوجته:

- أرجو أن لا تغفلي عن زوجك إنه بحاجة ماسَّة للعناية والراحة.

غاب الطبيب، فانفجرت في البكاء...

- حمدا لله أنَّك عُدَّت إلينا.

- سينتهي كل شيء خلال أيام، ناوليني هاتفي المحمول.

استلمه بيد مرتعشة، تطلَّع فيه باهتمام، ثمَّ ابتسم رغم ألمِه الشديد...

- لقد دفعوا مبلغا ضخما.

- حمدا لله.

- يمكننا الآن قضاء ما علينا من ديون، والبدء بمشروع جديد.

- لن تفعلها مرَّة أخرى، أرجوك.

ابتسم ساخرا...

- لم تعد بي طاقة على مرَّة ثالثة.

- أتعدني؟

- أعدك.

ألقت برأسها على صدره، حين التفت للنافذة فشاهد نابان يطلّان من وراء زجاجها.

خلف الحَاجِزِ الخَشَبي

على الكرسي خلف الحاجز الخشبي، يطالع عيسى الناس بانتباه، مؤمِّلا أن يلحظ الأفَّاق الذي سرقه؛ لقد أعطاه جُلَّ ما يملك، ولولا مساعدة زوجه، لما تمكَّن من فتح هذا الاستوديو صغير الحجم، يعتاش منه وأسرته، ورغم أن كثيرين استسلموا لليأس، بعد انتظار طويل، ما زال الأمل يداعبه باسترداد ماله، ويحلم باستثماره في مشروع يدرُّ عليه ربحا وفيرا، يرفع من شأنه وشأن أبنائه من بعده.

إنه حلم كبير طالما أدخله في منزلقات خطيرة، كان آخرها أشدّهاَ خسارة، لقد ذهب ماله أدراج الرياح، على يد مستثمر موهوم، وزميل دراسة ظلَّ يوسوس له حتى استجاب له وذهب معه، وهناك شاهد ما أبهج نفسه، مبنى من طابقين، واجهته غاية في الجمال، وأثاثه ومكاتبه بالداخل تشرح النفس بحسن تنسيقها، ورائحة زكية تنشر عبقا مخدرًا، يصعد بك للطابق الأول على درجات سلَّم رشيق، حتى تصل إلى الرجل المنشود، فتجده واقفا بانتظارك بابتسامته الوضَّاءة، ليبدء حديثه بلسان معسول عن السوق وفرص الاستثمار، فلا تخرج حتى تكون قد دفعت له كل ما في جيبك.

ومرّت عدة أشهر في انتظار ما تجود به الأوراق النقدية، ومرَّت مثلها، فسأل وألحَّ في السؤال، لكن الإجابة واحدة لا تتغيَّر.. إن الأمور متعسِّرة بعض الشيء وهناك مصاعب جديدة لم تخطر على البال، وغضب وكشَّر عن أنيابه في وجه المستثمر، وهدَّد بالويل والثبور وعظائم الأمور، لكنه أخطأ، حين استكان لوعده الجديد، فما أن أتى الصباح حتى علم أنه هرب بماله وأموال الناس. وبحث عنه في كل مكان فلم يجده، وسأل حتى اهتدى لأشقَّائه، ولم يكن الحديث معهم ولا التهديد ليفيده فبشيء، كذلك فشل في العثور على زميل الدراسة، كأنَّما انشقَّت الأرض وابتلعتهما.

تحطَّم كلُّ شيء، وأنهارت أحلام الثراء، وفرَّ الرجل بكل دينار جمعه من عرقه، وذهب زوجته، ولم يتبق سوى استوديو التصوير، يقضي فيه يومه، مؤمِّلا أن يهتديَ لشيء يعوِّض به جزءا من ماله المسروق، أو يبتسم له الحظ فيلتقي بالمخادعَين الكبيرين.

وفجأة.. دخل المحل رجل قصير القامة، يضع على رأسه نظارة طبية، طالبا صورة فوتوغرافية.

وعرفه على الفور، إنه هو نفسه من اتصل به ذات يوم وأخبره عن الكنز الموعود، هو نفسه الذي ملأ قلبه أملا بالثراء، واضطره الى بيع ذهب زوجه. كان يبدو مريضا منهكا، حتَّى انه لم يتعرف عليه. قام بهدوء، وأغلق باب المحل، ونادى على الموظِّف الآسيوي، فنزل هذا، ووقف منتظرا أوامر كفيله، ثم خاطب الزبون بلسان يفحُّ نارا:

- ألا تذكر من أكون؟

وكان يوسف ضخم الجثة قوي الساعدين، فأسقط في يد الرجل، الذي تطلع بعينين فزعتين:

- من أنت؟ وماذا تريد؟

- أريد مالي.

- أيُّ مال؟

وأخرج يوسف ورقة كان يحتفظ بها في محفظته:

- أما زلت تنكرني؟

وشحب وجه الرجل، وأخذ بالتطلع في الورقة وفي وجه يوسف، وقال متلعثما:

- أرجوك.. كنت واسطة خير لا أكثر.

ولشدة غضبه أمسك يوسف به بكلتا يديه، ودفعه بقوة فسقط على الكرسي يخور كالثور...

- أريد مالي.

- صدقني لا حيلة لي فيما وقع، أنا نفسي ضحية أكاذيبه.

- أنت من زيَّن لي أن أعطيه المال.

- لكنِّي لم أسرقها.

صاح في صوت جفل له حتى الآسيوي:

- عليك أن تعيد إليَّ مالي.

قال وهو يلهث:

- اسمع.. لقد علمت أن الرجل مطلوب من البوليس الدولي.

- وبماذا يفيدني ذلك أيها الحقير؟

- عندما يصل البلد يمكنك أن تقيم دعوى تطالبه فيها بمالك.

وهمَّ أن يهزَّه مجدَّدا، لولا أن صاح الرجل باكيا:

- أرجوك.. أنا شديد المرض، للتو خارج من جراحة في القلب.

كوَّر قبضته رغبة في تحطيمه، لكنه أنزلها باستسلام، وقال في ضعف:

- اغرب عن وجهي عليك اللعنة.

وأسرع الرجل بالهرب لا يلوي على شيء، فألقى بنفسه على الكرسي، محطَّم النفس، إلا من أمل ضئيل.

السِّر

ردَّدت النظـر بينهـم وأنـا في غايـة العجـب، خمسـة توائـم يتطابقـون طـولا وعرضـا، لا تـكاد تميِّـز ملامـح أحدهـم عـن الآخـر، طيبـين، وديعـين، ظرفـاء محبِّـين للفكاهـة، أنيسـين للنفـس. ولابـدَّ أنّ دهشـتي كانـت مـن الوضـوح بحيـث دفعـت أقربهـم لـي للابتسـام والقـول:

- ماذا؟

- لا شيء.

- لماذا تُحملِق بنا هكذا؟

ضحكت...

- **الحقيقة أن منظركم يدعو للعجب.**

ابتسم ثمَّ سدَّد لي نظرة نافذة:

- **ماذا لو علمت أننا لسنا بتوائم؟**

ضحكت للنكتة الغريبة، غير أنَّ الرجل عاد فأكدَّ في صوت أشدُّ وضوحا:

- **صدقني لسنا توائم كما تظن.**

ووجدتهم جميعا يبتسمون لي، فرحت أتأمَّل ملامحهم، متِّهما عيني بقصر النظر، لكني لم أجد ما يغيِّر قناعتي، لولا أن مدَّ لي الأول بطاقته الشخصية، تبعه الثاني والثالث والرابع والخامس، فقرأت فيها العجب العجاب، فبين كل واحد منهم عام كامل، ورغم ذلك لا يختلفون في شيء.

قلت:

- **سبحان الله.**

ثم انتبهت فقلت على الأثر:

- **لا أخالكم بشرا سويًا.**

وسارعت فنفضت جسمي، فانسلخ جلدي عنه، وبدوت على هيئتي هيكلا عظميا هائل الحجم.

أذهلتهم المفاجأة، وسارع كبيرهم للقول:

- أرجوك لا تفشي سِرَّنا لأحد.

- لكنِّي أفشيت سرِّي لكم.

قالوا:

- نعدك أنَّنا لن نخبر أحدا بما شاهدناه.

وهكذا كان اتفاقي معهم.

عندها لم يجدوا سببا لأن يخفوا أشكالهم، فعادوا لصورهم الأولى هياكل عظمية، أكل الدهر من قِحاف جماجمهم وشرب.

لدغَة الدَّبُور

لا يعلم لِمَاذا تتراءى له تلك الصَّورة البعيدة من أيّام طفولته، عندما أهوى عصَاه على "الدبور"، ليثبت لأصدقائه قدرته على تنفيذ ما يقول، فكان جزاؤه ليالٍ من الألمِ والسُّهاد بفعل اللدغة القاسية، ربّما لشعوره أنّه كرّر الحمَاقة نفسها، رغم سنين الخبرة والنضج، فجاءت اللدغة هذه المرّة، على يد زوج ثانية صغيرة في سن بناته.

ثمَّـة طفـل في الرابعـة، وآخـر في الثالثـة، وطفلـة تـدرج علـى أربـع، في حضنهـا، حيـث لا تبـرح البيـت، مدِّعيـة المـرض، مكشِّـرة عـن أنيابهـا، كُلَّمـا أنّبَهـا علـى تقصيرِهـا تجاهـه وتجـاه الأطفـال، سـليلة أشـرافٍ، كانـت مُعـزَّزة بـين أهلهـا، في البلـد البعيـد -هكـذا قيـل لـه- وعليـه أن يعـيَ قبـل أن يقتـرنَ بهـا، أنهـا لـم تعتـد الخدمـة في البيـوت، وتحتـاج لبعـض الوقـت كـي تتعلَّـم الطبـخ والكنـس، والاعتنـاء ببيتهـا، لكنَّ السـنين تمضِـي، وأعـوام خمسـة مثقلـة بالصبـر والأمـل تمـرَّ علـى الـزواج الميمـون!، دون أن تغيَّـر شـيئا في طباعهـا.. الإهمـال، افتعـال المشـاكل، الكسـل والضجـر والسـأم، الغـرور والترفُّـع، الرغبـة بكنـز المـال بأيَّـة وسـيلة، النكـد والوسـاوس المُحطِّمـة لأعصابـه.

كلُّ ذلـك مـا زال شـاخصا أمَـام عينيـه، مالئـا قلبـه المُثخـن بجراحَاتـه، بآمالِـه المحنيّـة الظهـر، بأحزانـه الشـاخصة، ألَـا يمتـدُّ لجميـع أعضـاءِ الجسـم، ممتزجّـا بشـعور بالخيبـة لا يطـاق، بالحسـد حـين يلحـظ أقرانـه ناعمـين بالسـكينة والهـدوء، في ظلّ التقاعـد، فيمـا هـو مبتلـىً بتأمـين لقمـة عيـش أبنائـه، وتلبيـة طلبـات زوجـه.

مـن يصـدّق؟! الرجـل الـذي كان يدفـع بسـخاء للفقـراء والمحتاجـين، أصبـح اليـوم يعتمـد علـى المسـاعدات والمنـح الماليـة لكـي يطعـم أسـرته الثانيـة!، لكنـه الطيـش لا شـك، جنـون الكبـر والغطرسـة، والغـرور الكـذَاب، حـين يعمـي القلـوب التـي في الصـدور عـن رؤيـة الحقيقـة... هنـاك في المطعـم الشـعبي، اقتـرب منـه الشـابُّ الخبيـث، قـال في صـوت يشـبه فحيـح الأفعـى قبـل أن تنفـثَ سـمَّها:

- تبدو جميلا هذا اليوم.

وصدَّق المسكين أنَّه ما زال شابا، وأنَّ من حقِّه أن يستمتع بما تبقى من حياته. كان قد تقاعد منذ سنوات، وأصبحت ساعات الفراغ كثيرة، وليس من شيء يمكن أن يمدّه بماء الشباب، أفضل من زوج صغيرة، قادرة على أن تضخ الروح في جسده، وأن تهبه عمرا جديدا.

ويا لهَا من سَعَادة أن تستجيب لشيطان رغباتك، وتقترن بفتاة في عمر بناتك، وتخلِّف منها وأنت في هذا السن، راميا خلف ظهرك بعمر قضيته مع زوجك أمّ عيالك، تلك التي رافقتك في السرّاء والضّراء، وصبرت عليك واحتملت من طبعك السيء الكثير، وسهرت على راحتك وراحة أبنائك، ولم تبقَ فلسا واحدا في جيبها، حين احتجت للمال. وها أنت تعود لبيتها، مخذول النفس مكسور الخاطر، تسألها وجبات الصَّباح والمسَاء، لتحملها لبيتك الآخر، إذ لا طاقة لك على أن تطلبها من المطاعم، فلا تبخل عليك بشيء، رغم ما يرتسم على وجهها من الضيق، ويلوح على سُحنات بناتك منها، ويخرج من أفواههن، والحقُّ أنك كثيرا ما اختلست النظر إليهنّ، فرأيتهنَ يتهامسن شفقة على أمّهن، وضجرا بك، أنت الذي دفعت بك شهوة بعيدة الغور لأن تسقط في حفرة لا أمل في الخروج منها.

عَينُ النَّسر

كانت عين عبدالله تشبه عين النسر، حادّة، تنقضّ بسرعة على أيّة فرصة، بعد مرور ستة أشهر على زواجه تحوّلت إلى عين نعامة، تركض من مكان إلى آخر على غير هدى، حتّى إذا علم أن زوجته تنتظر مولوداً، صارت لا تختلف في شيء عن عين دجاجة، لا يشغلها سوى البحث عن حبوب تأكلها.

شاهد فتاة مليحة نحيفة الجسم، فسأل عنها، فقيل له الكثير، أمور لا تشجّع أيّ إنسان على الاقتران بها، كقولهم أنّها مريضة نفسياً، وأنّ أمّها توفّيت جرّاء مضاعفات المرض نفسه، لكنه أصمّ أذنيه إلا عن شيء واحد، وهو إنها ابنة فلان من الناس، التاجر الثري.

ابتسم ابتسامة بحّار تاه على خشبته طويلاً حتى حطّ على شاطئ الأمان، وقال لنفسه:

- إنّها فرصتي التي وعدني القدر بها، ويجدر بي أن أتمسّك بها تمسّكي بحلم الثروة والغنى.

ورسم خطَّة للتقرّب إلى أبيها وأشقَّائها، ووجد الفرصة سانحة، من خلال مجلس العائلة، فكان لا يفوّت ليلة دون أن يحضر المجلس، مبادراً بخدمة الحضور، مشاركاً في أحاديثهم، مشيعاً جوّاً من الفكاهة طالما افتقر إليه المجلس، حتّى لفت انتباه صاحب المجلس، الذي أعجب بوسامته وملاحة وجهه، ومقدرته على سرد النكت واستحضار القصص والحكايات، وكذلك بتباهيه على رغم وضعه المادي المتواضع، خصوصاً بعد أن علم أنه بن لفلان المرحوم، المعروف بظرفه وخفّة دمّه، فصار يعتمد عليه، حتّى أوكل إليه كلّ شئون المجلس.

ثمّ جاء يوم، شعر فيه عبدالله وكأنّ السّماء رضيت عنه أخيراً، وشاءت أن تبدّل حياته إلى النقيض.

كان في المجلس، حين سأله التاجر فجأة دون مقدّمات:

- لماذا لا تتزوّج؟

قال باهتمام:

- لا أملك المال اللازم.

وكان يتوقّع منه أيّ شيء إلا أن يقول له بوضوح:

- ماذا لو توافرت الزوجة والمال؟

قال وكأنّه في حلم:

- ما أسعدني بذلك، لكن من ستقبل بشابّ مثلي؟

- إنّها ابنتي.

وأوشك أن يغمى عليه، فليس للرجل سوى ابنة وحيدة، هي من سعى طوال هذه المدّة للتقرّب من أبيها، طمعا في الزواج بها، فكيف تسخو المقادير كلّ هذا السّخاء، وتدفع إليه بأمنياته دفعة واحدة؟ ظلّ ساكتاً، فسأله التاجر، وعلى فمه ابتسامة أبٍ شفيق:

- سكوتك هذا دليل رفض أم قبول؟

أجاب بسرعة، مشفقاً من ضياع الفرصة:

- بل سكوت القبول، وهل جننتُ كي أرفض مصَاهرة رجل عظيم مثلك؟

وأحسّ أنه دخل الجنة فعلاً، عندما قال التاجر:

- على بركة الله، ستكون الخطوبة والزواج في ليلة واحدة.

ولم يتفكّر في عواقب الخطوة التي سيخطوها، فلطالما حلم بالثروة، وها هي تأتيه سافرة بلا قناع، ولم يشغل نفسه حتّى بالسؤال: لماذا هذه العجلة؟! بل لجّ في عناده فهوّن على نفسه كلّ شيء، وقال لها:

- بضعة شهور على أكثر تقدير، وسأعتاد كلَّ شيء.

وتمّ له ما أراد، تزوّجها، وانتقل وإيّاها إلى شقة فاخرة، في إحدى عمارات أبيها، والحقّ أنّه لاحظ اضطراباً في شخصيتها منذ الساعات

الأولى التي جمعته بها قبل الزواج، كان ارتباكها، تلعثمها، يخفي شيئاً أكبر من مجرّد الخجل، إلاّ أنّ عين "النسر"، لم تبصر سوى الطريدة، التي أوقعها القدر في طريق شاب يتفجّر رغبة لدخول عالم المال والثراء، لكنّ شهراً واحداً لا أكثر، كان كافيا ليدرك أنّه ألقى بنفسه من شاهق إلى بحر متلاطم الأمواج، فالفتاة كانت مريضة فعلاً، لكنه مرض يحوّل حياة أقرب الناس إليها إلى جحيم.

كان الوسواس القهري يغزو رأسها الجميل، وكان البكاء ديدنها ليل نهار، فهي على الدوام تتطلّع في يديها وتتوهّم أنّها مريضة، وتتصوّر أن جميع الناس يكرهونها ويتمنّون موتها، أمّا الكآبة فطيف ثقيل يخيّم على رأسها، ويملأ نفس من يجتمع بها مرارة وشقاء بها، ولا يمرّ يوم دون أن تتشكّى وترغم زوجها على الذهاب بها إلى المستشفى.

أمّا الحقيقة التي صدمته حقّاً، فهي النظرات التي تنصبّ عليه حمما، من قبل أبيها، كلّما لمح طيفا من الشكوى يّطلّ في عينيه، نظرات تخبره بوضوح أنّه ليس بكفؤ لابنته، وأنّه مَنّ عليه بنعمة تستلزم أن يحافظ عليها، وإلاّ فإن الجحيم بانتظارِه، فمن حسبه أطيب الناس، كشف عن نفسه، فإذا به رجل شديد الذكاء، هيّأ الشباك تماماً لاصطياده، فعندما ضاق وأبناؤه، بابنته، بحيث أنهم لم يعودوا يطيقون الجلوس معها حتّى، قرّروا أن يزوّجوها من ساذج يسهل خداعه، وكان له ما أراد، أحكم أبواب السجن عليه جيّداً، فتحوّلت الشقّة إلى عيادة! بها مريض واحد هو زوجه، وممرّض اسمه عبدالله، عليه أن لا يفارق المريضة، وأن يكون تحت تصرّفها ليلاً ونهاراً.

كان يؤمِّل التأقلم مع أعراض هذا المرض، ويعلّل نفسه بنهاية قريبة لعذابه، لكنّ بمرور الأيام وتتابع الليالي، أدرك عبدالله أنّه يعيش وسط جبل من الرمال، لا منفذ له منه، وعندها غشيته كآبة ضيّقت عليه منافذ حياته، وسمّمتها بنَفَس كريه يشبه رائحة غاز قاتل، لقد جُنّ تماما، وتحوّل إلى نعامة حقّاً، فنظرات عينيه لا تستقرّ على حال، وشروده يدفع للرثاء، وقلبه ينتفضّ لدى أيّ حركة، ورعشة جسمه وهزَّة أصابعه، تنبيء عن ألم نفسي شديد، وإذ أحسّ أنّه كالطائر الذي وقع في براثن فخّ شديد الإحكام، انقلب إلى الطعام والشراب، يزدرد منه ما يعوّض به عن حالته النفسية الصعبة، على رغم إدراكه، أنّه وسيلة أخرى من وسائل عمّه، لتكميم فمه، حين يأمر خادمه في كلّ صباح، بملأ الشقة بما لذ وطاب من مأكل ومشرب، وشيئاً فشيئاً، ومع علمه أن زوجه حامل، انقلب عبدالله إلى دجاجة مسكينة، تأكل وتشرب كّلّ ما يقدّم إليها، فهو يغشى مجلس عمّه، صامتاً، ساهماً، مشغولاً بعالمه الخاص.

وَجهُ الذِّئب

كان الطقس شديد الحرارة، والشَّمس ترسل أشعَّتها فتصهر العظم قبل الجلد، والملاحِظ صاحب الوجه الذي يشبه وجه الذئب، مجتهد في تنفيذ أوامر المسؤول الأجنبي، فهو يراقب العمال بانتباه شديد، متصيَّدا أخطائهم، على أمل الترقي في وظيفته، ووحده اتخذ من حجر ملقى، مقعدا، وأخرج سيجارة، راح يدخِّنها بجسارة، مثيرا غضب الملاحظ...

- ألا تخشى على رزق عيالك؟

سأله أحد العمَّال مشفقاً.

- الرزق على الله.

- انه ينظر إليك بمقت شديد.

- أعلم.. هذا جاحد لا يخاف الله.

ثم رمى بعقب السيجارة بعد أن التهمها كاملة، وعاود العمل بهمَّة شاب في العشرين من العمر، وليس عائلا يقترب من الأربعين، له من الأبناء أربعة، وابنة صغيرة في قماطها. وسمع صوت المسؤول الأجنبي ينادي غاضبا على الملاحظ، فأسرع هذا لتلبية ندائه، وغاب لخمس دقائق لا أكثر، خرج بعدها من الكبينة، منتشيا، كأنه مقبل على التهام شاة دسمة:

- أبومحمد..

والتفت اليه دون اهتمام.

- لقد شاهدك المسؤول.

- وماذا يريد؟

- إنه يرغب في التحدث إليك.

ومضى للمسؤول، وحالما حاذى الملاحظ قال هذا ساخِرا:

- دع غرورك ينفعك الآن.

خمس دقائق وحسب، خرج بعدها بهدوء، دون أن يبدو عليه أيُّ تغيير. أمسك بالمعول، وعاود الحفر، صامتا، ما أثار قلق الملاحظ، فبادره بالقول:

- عنَّفك .. أليس كذلك؟

- لماذا لا تذهب إليه وتسأله؟ إنه يطلبك.

وهُرِعَ الملاحظ إلى مسؤوله الأجنبي، فبادره أحد العمَّال:

- ماذا يريد هذا اللَّعين؟

- كل الخير إن شاء الله.

وشاهد الملاحظ يخرج من كبينة المسؤول جامد الوجه، عاضًّا على شفته غيظا وحنقا:

- فعلتها أيُّها الحقير؟

- ماذا فعلت؟

- لقد وشيت بي.

- بل أنت من وشى بي.

ضرب المُلاحظ قبضته براحة كفِّه الأخرى، ومضى ثائرا، يشتم ويلعن، وهو يشيِّعه بنظرات السخريَّة. تحلَّقوا حوله، وسألوه بلهفة:

- ماذا حدث؟

- نقله الى مكان آخر.

هلَّلوا فرحا:

- وأنت؟ قل انه عينك مكانه.

ضحك...

- بل خصم منِّي أجرة هذا اليوم، وتوعدكم بملاحظ أشد.

تطلعـوا لبعضهـم في وجـوم، ثـم عـادوا للعمـل وأعينهـم تفيـض ذلاً وانكسـاراً.

الفهرس

السَّـبعَة 5
أبـو الحكايـات 9
العُقـدة غريبـة الشّـكل 13
الشـباك 15
أزرَقٌ هائـلٌ كالبحـر 18
قلـبٌ شـقي 26
الموجَـة الغـادِرة 30
في صَخـب المَقهـى 35
قاطِـعٌ كالسَّـيف 38
في حصَانـة سـيِّدي 41
ثَـورةُ "القطـرس" 45
دخَـانُ الحقـد 51
في ظـلام اللّيـل 55
نجمَـةٌ شَـاردة 59
وحـدي وشـاهِديَ التـراب 62
زهـرة الخُلـد 66
حديثٌ مع النجـوم 75
تجربـة رهيبة 78
خلف الحَاجزِ الخشبي 83
السِّـر 87
لدغَةُ الدَّبور 90
عَين النَّسـر 93
وجهُ الذِّئب 98

سيرة

- جعفر الديري
- شاعِر وكاتب بحريني من مواليد 15 فبراير 1973 .
- عضو أسرة أدباء وكتّاب البحرين.
- عضو مختبر سرديات البحرين.
- يكتب القصة القصيرة والشعر والأدب الموجّه للأطفال، بالإضافة لمقالات متفرّقة في حقل الثقافة والتراث الشعبي.
- نشر في عدّة مجلات بحرينية وعربية منها: البحرين الثقافية، العربي الصغير، نور المصرية، الجديد اللندنية.
- تولى تحرير ملحق فضاءات أدبية التابع لأسرة الأدباء والكتاب.
- أشرف على تحرير الصفحات الثقافية في شركتي دار الوطن للصحافة والنشر، ودار الوسط للنشر والتوزيع.
- حصد الجائزة الأولى في الشعر ضمن جائزة كرزكان للشعر والقصة القصيرة 2020 عن نص "في إثر وردة".
- حصد الجائزة الرابعة في مسابقة شاعر الحسين عن نص "**وما كان لي أن أراك**" العام 2013.
- شارك في عدة مهرجانات محلية وعربية منها:

1. مهرجان الكُتَّاب والقرّاء: الدَّمام المملكة العربية السعودية مارس 3202، ندوة الصالونات الثقافية.

2. مهرجان الشارقة القرائي للطفل 2022.
3. مهرجان الشعراء الشباب تنظيم أسرة الأدباء والكتاب: مملكة البحرين 2009.
4. مهرجان طريق الحرير: دمشق 2005.
5. مهرجان مسقط للتراث 2004.
6. مهرجان الدوحة الثقافي 2002.

الإصدارات

مقدمة لخلق الأشياء | مجموعة شعرية | مملكة البحرين
2023

قرار نهائي | قصص قصيرة | دار بوفار | جمهورية مصر العربية
2023

النافذة كانت مشرَّعة | قصص قصيرة | دار الوطن للصحافة والنشر
2013

وديعة | قصة للأطفال
2020

The Seven

Jaffer Al Dairi

السَّبْعَة

وقف الشُبَّان السَّبعَة، بعضَلاتهم المفتولة. وجوهُهم مكفهرَّة، أيديهم تمسِك رمَاحا وسكاكين بدائية، وأعينهم ترقب الجمع الصاخب، وقد أحاط بهم، الرجال يضربون على الدفوف، النساء يزغردن وقد امتلأت أعينهن بالدمع، وعلى مقربة منهن، وقف شيوخ القبيلة السَّبعة، عابسي الوجوه، مُتهدِّلي اللُّحى، يمسكون بعِصيّ رُسِّمت عليها أشكال وحوش وكائنات خرافية.

بعيدا عنهم، مُختفيا خلف الشجرة الكبيرة، كان رجلٌ يُراقب الشبَّان بقلق بالغ، كان يتسَاءل:

- هل أدّيت واجِبي على أكمل وجه؟ هل أعددت الشبَّان جيدا لهذه اللحظة الفاصلة؟

جعفر الديري

ISBN 978-99958-0-997-3

9 789995 809973